الجمهـــورية الجزائـــرية الديمقـــراطية الشعبية
وزارة التعلـــــيم العالي والبحث العلمي
جامعة– سعيدة – د. الطـــــاهر مولاي
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر (ل.م.د)، التخصص : لسانيات الخطاب

السياق والمقام بين البلاغة العربية ولسانيات الخطاب

إعداد الـــــــطالب:
✍ وزاني عبد الحق

إشـــــــراف الدكتور:
✍ د . مسلم خيرة

لجنة المناقشة

د. مجاهد تامي	رئـــيسا
د. مسلم خيرة	مـــــشرفا
د. دين العربي	ممتحننا

السنة الجامعية : 1440هـ/ 1441هـ*** 2019م/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من خصهم رب العزة بالدعاء الكريم الوالدي الكريمين حفظهم الله تعالى.

إلى جميع إخوتي: جلول، غياث، محمد

إلى جميع الأصدقاء: عبدالرحمن، مصطفى، عمر، يوسف، بوداود

إلى طلبة قسم اللغة العربية جامعة سعيدة

إليهم جميعا أهدي هذا العمل

شكر وعرفان

إلى الأستاذ المشرف "واضح أحمد"
أخصص

خالص الإمتنان والتقدير

إلى أساتذتنا الكرام أبهى اعترافاتي بالجميل

عبد الحق

خطة البحث

السياق والمقام بين البلاغة العربية ولسانيات الخطاب

- مقدمة

-الفصل الأول: حظ المقام في البلاغة العربية.

- المبحث الأول: ماهية المقام والمقال.

- المبحث الثاني: عناصر المقام.

- المبحث الثالث: أنواع المقام.

- المبحث الرابع: منزلة المقام وعلاقته بالعلوم الأخرى.

- الفصل الثاني: تمظهرات المعطى المقامي في البلاغة العربية.

- المبحث الأول: الأبعاد المقامية عند الحاجظ (255هـ).

- المبحث الثاني: الأبعاد المقامية عند الفلاسفة والمتكلمين.

- المبحث الثالث: الأبعاد المقامية عند قدامة بن جعفر (377هـ).

- المبحث الرابع:الأبعاد المقامية عند عبد القاهر الجرجاني (471هـ).

- المبحث الخامس:الأبعاد المقامية عند السكاكي (626هـ).

- الفصل الثالث: تمظهرات المعطى السياقي في لسانيات الخطاب.

- المبحث الأول: ماهية الخطاب.

- المبحث الثاني: من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.

- المبحث الثالث: السياق وأفغال الكلام.

- المبحث الرابع: السياق والحجاج.

- خاتمة.

- قائمة المصادر والمراجع.

- فهرس الموضوعات.

المقـــــــــدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه أما بعد:
تناقل البلاغيون قديما وحديثا عبارة المقام ، حيث لا تكاد الدراسات البلاغية تخلو من هذا التعبير نصا أو معنى، فقد عرف المقام بمطابقة المقام للمقال أو مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، فهذه المقولة هي هيكل البلاغة العربية بعلومها الثلاثة (البيان والمعاني والبديع)، وهنا تبرز أهمية المقام في البلاغة العربية ومكانته المرموقة، فهو أضحى شعارا وأساسا في الدرس البلاغي القديم والحديث، وتوارد المصطلح في الحقول المعرفية، حيث نجد المقام حاضرا في اللسانيات الحديثة بمختلف مدارسها كلسانيات النص، والتداولية، واللسانيات الوظيفية التواصلية، فقد شغل مصطلح الخطاب(النص) القدماء والمحدثين فتناولوه تحليلا ووصفا، من خلال حديث البلاغيين عن الجملة والكلام والمقام ومقتضى الحال، أما اللسانيون المحدثين فقج وقفوا عنده أيضا فتارة يربطونه بالكلام وتارة بالنص وتارة بالملفوظ، فالمقام (السياق) والخطاب هما وجهان للعملة واحدة، حيث لامعنى ولا تأويل للخطاب دون ربطه بسياقه. فعمق تراث البلاغي واللغوي العربي واحتواءه على جذور ونظريات شبه مكتملة، لها وشائح وتعالقات مع الدرس اللساني الحديث، فقد ركزت في عملي هذا على قضية هامة في عمق التراث البلاغي العربي، ألا وهي المقام –أو السياق، فهذه القضية يمكن عدها مساهمة جادة لدى البلاغيين العرب، والتي تنبىء بوجود تفكير ليساني (الخطاب)، وتجليات نظرية المقام فيه وصلتها الوشيحة بالدرس اللساني النصي (تحليل الخطاب) الذي تجاوز الجملة التي كانت محور الدراسة مقصيتا المقام، التي أعادته لسانيات النص وأكدت على دوره الهام في ما يعرف بالنصية والمعايير السبع للنص التي حددها (دي بوجراند). فهذه النظرية (المقام) أو السياق سوف تكون محل طرحي في المذكرة الموسومة بـ: (االمقام والسياق بين البلاغة العربية ولسانيات الخطاب).

فما المقصود المقام ونظريته؟ وما تنظراته في التراث البلاغي ولسانيات الخطاب؟ وفيما تتجلى علاقة البلاغة بلسانيات الخطاب؟.

قبل مقاربة الإجابة عن جملة من الإشكالات هاته وغيرها، يجب التنويه إلى سبب اختار هذا العنوان الذي كان لسببين اثنين هما:

1- التماس التعريف والتعرف على حظ المقام وتمظهراته في الدرس البلاغي القديم وفي اللسانيات النصية (الخطاب).

2- لأنه موضوع رئيس ولا يمكن الولوج إلى طبيعة الدرس البلاغي واللساني دون المرور بقضية المقام.

إن أي بحث لا يخلو من معوقات المصادفة لمراحل الإنجاز، ولعل أعتاها تلك التي استدعتني عدم استفاء جوانب الموضوع واحتوائها لعسر الوصول إلى بعض المراجع ومصادر واكتفائي بما هو متاح، لكن هذا لم يمنعني من استقاء بعض المعلومات التي أتمنى أن تكون محيطة به ولو جزئيا ومؤيدة لغرض الفائدة.

هذا وجاء منهج هذا البحث وصفيا تحليليا ممزوج بتجليات تاريخية طارحا من خلاله لخطة موسومة بمقدمة وثلاث فصول مجرأين إلى مباحث ومطالب، فكانت المقدمة وقفة تعريفية تستجلي عنوان البحث، وجاء الفصل الأول ليقصى حظ المقام في البلاغة العربية راصدا:

1- ماهية المقام.

2- عناصر المقام.

3- أنواع المقام.

4- منزلة المقام وعلاقته بعلوم الأخرى.

لتأتي الفصل الثاني المعنون بـ: تمظرات المقام في البلاغة العربية، محاولا بمباحثه الخمس استجلاء:

1- ماهية البلاغة.

2- الأبعاد المقامية عند الجاحظ (255هـ).

3- الأبعاد المقامية عند المتكلمين.

4- الأبعاد المقامية عند عبد القاهر الجرجاني (417هـ).

5- الأبعاد المقامية عند السكاكي (616هـ).

ويتبع الفصل الثالث الموسوم بـ: المعطى السياقي في لسانيات الخطاب، بمباحثه الأربع:

1- تعريف الخطاب (لغة وإصطلاحا).

2- من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.

3- السياق وأفعال الكلام.

4- السياق والحجاج.

لينتهي البحث بخاتمة جامعة لحيثياته ومستخلصة لما تضمنه، معتمدا في قائمة للمصادر والمراجع المثبتة في آخره، أهمها كتابا قدامة بن جعفر نقد الشعر ونقد النثر، دلائل الإعجاز لـ عبد القاهر الجرجاني، النص والخطاب والإجراء لـ دي بونجراند ترجمة تمام حسان، علم لغة النص لـ حسن بحيري.

فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي والله من وراء القصد.

الفصل الأول:

حظ المقام في البلاغة العربية

المبحث الأول: مفهوم المقام والمقال (لغة واصطلاحا).

1- لغة:

1/أ مفهوم المقام لغة:

أطبقت المعاجم العربية على أن مدلول لفظ "المقامة" يعني المجلس من حيث هو المجلس أو الجماعة من الناس، حيث نجد كلمة المقام في معجم لسان العرب لـ(ابن منظور) وكذلك في معجم المحيط لـ (بطرس البستاني) وفي سواها من أمهات المعاجم العربية.

أـ في لسان العرب لـ (ابن منظور):

مقام من (ق.و.م) ومقام ومقامة، المجلس ومقامات الناس مجالسهم.

قال العباس ابن مرداس أنشده ابن برى:

فاني ما وأيك كان شرا فقيد إلى المقامة لا يراها.

ويقال للجماعة تجتمعون في مجلس مقامة، ومنه قول لبيد:

ومقامة علب الرقاب كأنهم جنٌ، لدى باب الحصير قيام.

أنشد ابن برى لزهير:

وفيهم مقامات حسان وجوههم وأنديةٌ ينتابها القول والفعل.[1]

ومقامات الناس مجالسهم أيضا، والمقامة والمقام، الموضع الذي تقوم فيه، المقامة والسادة، وكل ما أودعك من جسمك فقد قام بك.

ب ـ معجم المحيط لـ (بطرس البلساني):[2]

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت- لبنان 2004،مج2، ص:288.

[2] بطرس البستاني: محيط المحيط، قاموس مطول، مكتبة بيروت- ياشرون بيروت- د.ط 1998م، ص: 764.

المقام والمقام والإقامة وموضعها وزمانها، والمقام أيضا موضع القدمين والمنزلة منه، مقامات الإعداد ومقام إبراهيم، وقيل هو الحجر الذي فيه أثر قدميه في الكعبة، والمقامة والمقامة المجلس

والجماعة من الناس، جمع مقامات، ونطق المقامات على خطب من المنظوم ومنثور كمقامات الحريري وبديع الزماني.

ج ـ معجم الوسيط:

أقام (بالمكان) أي لبث فيه وإتخذه وطنا، وقال في موضع اخر:

المقام: موضع القدمين والمجلس والجماعة من الناس.

والمقامة: الجماعة من الناس والمجلس والخطبة أو العظة أو نحوهما، أو القصة القصيرة مسجوعة تشمل على عظة كان الأدباء يظهرون فيها براعتهم.[1]

1/ب المقال في اللغة:

قول من (ق.و.ل)، الكلام على الترتيب وهو عند المحقق، هو كل لفظ قال به اللسان، تاما كان أو ناقصا، قال يقول، قولا وفاعل قائل، والمفعول، مقول، وأعلم أن قلت في كلامي العرب، إنما وقعت على أن تحكي بها ما كان كلاما لا قولا، يعني بالكلام الجمل.[2]

يقول الحطيئة مخاطبا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب:

تحنَّن على هداك الملي ك فإن لكل مقام مقالا.

ـ وقيل القول في الخير والشر والقال والقيل في الشر خاصة.

---

(1) إبراهيم مصطفى-احمد الزيات-حامد عبد القادر-محمد النجار:المعجم الوسيط، المكتبة الاسلامية، اسطنبول- تركيا-ط2 ،1982م، ج1،ص:727-728.

(2) ابن منظور: لسان العرب-مج12/ص: 221.

"فالمقال والمقالة والقول، كما جاء في المعاجم القديمة، مصدر "قال" والقول والكلام هو كل لفظ ينطق به اللسان تاما كان أو ناقصا، كما يقال: سمعت مقالة ومقالته وأقاويلهم، وكثر القيل وانتشرت له في الناس مقالة".[1]

ويستعمل القول مجاز للدلالة على الحال، مثل: وقالت له العينان سمعا وطاعة وقال له خاطبه وقال عليه أن ترى وقال أخبر، وقال فيه، اجتهد وقوله أدعي عليه، اختلقته كذبا،وقالوا،إيقاع الخصومة بين الناس."[2]

ـ والقالة: اسم القول المنتشرين بين الناس خيرا كان أم شرا، القول والكلام والرأي والمعتقد المقال والقول والمذهب.

وقد وردت كلمة (المقالة) في شعر كعب ابن زهير حيث قال:

مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل

ومن دعا الناس إلى ذمه دموه بالحق وبالباطل

فالمدلول الحسي لهذا اللفظ هو (القول).

لقد كانت فكرة المقام أو السياق هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفي في الوقت الحاضر وهو الأساس الذي ينبني عليه الوجه الإجتماعي من وجه المعنى وهو وجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال.[3]

وإن كان تحليل المقال في سياقه المقامي واجبا على اللسانيات الاجتماعية والتاريخية والنفسية فإنه مجال التحليل البلاغي أوجب من خلال محددات المقام أي الخصائص التي تحدد هذه الظروف في إطار الكلام لأن قيمة الفنية هي التي تحدد القيمة السياقية التي تبرز من تلاحم عناصر النص وتماسكها ونظمها.

(1) اسماعيل ابراهيم: فن المقال الصحفي (الأسس النظرية وتطبيقات العملية)، دار الفجر للنشر والتوزيع، ص:196.
(2) المرجع السابق، ص:19.
(3) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها دار الثقافة ، الدار البيضاء، 2001م، ص:337.

2- مفهوم المقام ومقال إصطلاحا:

وردت فكرة " مقتضى الحال" في صحيفة (بشر ابن المعتمر)، وكانت محورا أساسيا فيها، من خلال قوله" وإنما مدار الشرفي على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقال مقال..."[1]

أطلق العرب قديما قولهم "لكل مقام مقال" وصار في الناس مثلا، وشاع لدى طائفة ولعل أسبق من نسب إليه هذا المثل (طرفة بين العبد) إذ روى عنه قوله:

تصدق على هداك المليك فإن لكل مقام مقالا

وكان من زي البلغاء أن يلقوا خطبهم، وينشدوا أشعارهم من قيام، ومن ثمة قرنت العرب الكلام بالقيام فطفقت تقول: قام منشدا وقام خطيبا، وقال فقام.[2]

وقد اهتدوا في وقت مبكر من تاريخ العلوم البلاغية واللغوية إلى ما يحف بظاهرة الكلام من الملابسات كالسامع والمقام وظروف المقال وكل ما يقوم بين هذه العناصر غير اللغوية من روابط وأمثلة كثيرا على الأصالة هذا المبدأ الفني في التراث البلاغي العربي من خلال علماء القران لما تحدثوا عن أسباب النزول وظروف الإنشاد... [3]، وما أورده (الجاحظ) في كتابه من أجوبة فيها توجيه لما نحن فيه، فمما نقله عن أهل الهند قولهم " جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الحرف بما التمس من معاني أو غمض، بما شرد عليك من اللفظ أو التعذر" [4]، وأن " لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا ملوك بكلام السوقة.....ولا مدار الأمر على إفهام كل قول بمقدار طاقتهم والحمل عليهم أقدار منازلهم.

فالعلاقة بين (المقام) و(المقال) تسير في اتجاهين على نحو مستمر، فكما أن المقال دليل على المقام فكذلك نجد المعرفة بالمقام جوهرية في فهم المقال، وتظل العلاقة الجدلية قائمة بينهما طوال عملية الممارسة اللغوية، فكل من المقام والمقال مهتم للاخر، وكل منهما يفترض الاخر مسبقا

(1) محمد بدري عبد الجليل: تصور المقام في البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، 2005، ص: 11.
(2) نفس المرجع، ص:12.
(3) الجاحظ: (أبو عثمان ابن بحر): البيان والتبيين: تح: عبد السلام هارون، ط1985،5م،ج1، ص: 63.
(4) نفس المرجع: نفس الصفحة.

وتعتبر النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها، إما السياقات التي يمكن تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي تستخدمها المتحدثون والكُتاب في مواقف معينة، ولهذا أصبح الكاتب أو القارئ عندما يتعلق الأمر بنصوص المدونة التي فقدت عنصر المقام الاجتماعي فخفي علينا من ظروف قولها أشياء كثيرة، أن يعيد تكوين هذا المقام بتصور ما يمكن تصوره من أحداث بغية الوصول إلى أكبر قدر ممكن من المعاني، غير أن البعض يرى أن هناك فروقا بين المقام الذي يقصده البلاغيون و(السياق) الذي يقصده التداوليون، وهذا ما يبديه (تمام حسان) إذ يرى: أن الفيصل في ذلك الاختلاف بين مفهومي السياق والمقام، هو معرفة ما ينطوي عليه الثقافة، ففيها يرتبط الكثير من المواقف بالاستعمال اللغوي، مما يحد من إخضاع المقام للمعيارية التي تلتصق بتعريفات البلاغيين العرب".[1]

ويعد (تمام حسان) فهم البلاغين للمقام أو مقتضى الحال، يعده فهما سكونيا قالبيا نمطيا ومجردا، أما المقامات التي يتحدثون عنها بقولهم "لكل مقام مقال" ماهي إلا نماذج وأطر عامة وأحوال ساكنة، ثم يعرف المقام بقوله: "فالذي أقصده بالمقام ليس إطار ولا قالبا، وإنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءا منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه، وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم، وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي يشمل كل عملية الاتصال...[2]

أما (محمد عبد المطلب) حينما أعطى رأيه في المقام قال:" بأن البلاغيين لم يحصروا المقام في إطار الخارجي المصاحب، بل إنهم تحركوا به إلى داخل التركيب عن طريق مقولتهم الدقيقة: إن (لكل كلمة مع صاحبتها مقام)، وهذه هي المقولة تجعل المقام الداخلي كائنا متحركا لا يعرف الثبات الذي كان له في الحالة الأولى المصاحبة ذلك أن احتمالات التوليد التركيبي غير نهائية وكل احتمال يخلق مقامه الذي يربط بين الكلمتين عن طريق التجاوز، وكل تغيير في العلاقة المجاورة يصاحبه تغيير في المقام فحضوره وهمي، يتدخل في خفاء حال التركيب ليمارس فاعليته في إنتاج المعنى..."[3]

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتجيات تحليل الخطاب (مقارنة لغوية تداولية) ، دار الكتاب الجديدة، ط1، 2004م، ص: 41.
(2) نفس المرجع: نفس الصفحة.
(3) محمد عبد المطلب: البلاغة العربية قراءة أخرى مكتبة لبنان – بيروت- ط1، 1997، ص 71.

وهذا يدل دلالة واضحة على أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر بين مقام الشاكية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب.... ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر."[1]

أما النحاة فقد اعتنوا بدورهم بالمقال الذي تتشكل فيه العناصر اللغوية، مشرين بذلك إلى تأثير دلالة السياق النص اللغوي وسياق الموقف الملابس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير وغير ذلك مما درسه علم المعاني من أحوال الإسناد الخبري وأحوال المسند إليه والمتعلقات الفعل، فعلم المعاني يهتم بالبحث في " كيفية مطابقة الحال لمقتضى حتى يكون وفق الغرض الذي سيق إليه"[2]

ومن بين النحاة نذكر البلاغي النحوي الكبير(عبد القادر الجرجاني) حيث تعد نظريته الشهيرة "النظم" خير دليل على مطابقة الكلام لمقتضى الحال و"السياق اللغوي"، ويكشف عن هذا بوضوح تام (الخطيب القزوني) حيث ساوى بين مطابقة الحال لمقتضى الحال والنظم عند(عبدالقادر الجرجاني) حيث يقول :" و هذا ـ أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال ـ وهو الذي يسميه الشيخ عبد القادر الجرجاني بالنظم حيث يقول: النظم تأخي معاني النحو فيما بين الكلام على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام.[3]

كما أن هذه العناية بمقاصد المتكلم تتسق ودراسة المعنى هي موضوع (علم المعاني) وتتسق كذلك وغاية الأسمى والأبعد لعلم المعاني والبلاغة عامة هي القران الكريم.

مطابقة الكلام لمقتضى الحال:

إن من أبرز الملامح في النظر البلاغي عند العرب قام على اشتراط ـ مواقف الكلام لمقتضى الحال والأخذ بالمقولة السائدة والمشهورة "لكل مقام مقال" ورصد على وجه التفصيل ما يكون من تأثير السياق، سياق الحال خاصة، وهي حال المتكلم والمخاطب وسائر ما يتألف منه المقام ورصد ما يكون من تأثير ذلك في تشكيل الكلام وتأليفه على هيئات في القول في القول تتنوع وفقا لتنوع

(1) السكاكي (ابو يعقوب يوسف): مفتاح العلوم: مكتبة مصطفى باجي الحلبي وأولاده – مصر – ط 2 – 1990، ص:73.
(2) أحمد مصطفى المراغي :علوم البلاغة:(البيان والمعاني والبديع) دار كتب العلمية – بيروت – لبنان – ط1، 1982 م، ص:48.
(3) القروني (محمد بن عبد الرحمان بن عمر الخطيب): الايضاح في علوم البلاغة ، شرح تعليق محمد عبد المنعم خفاجي- مكتبة مصطفى الباجي وأولاده – 1990م،-ص:80.

المقامات فنحن نجد (محمد عبد المطلب) عن هذا التساؤل قائلا: الاعتبار المناسب للحال الذي يستدعي بالضرورة بناءا لغويا معينا، فكل اعتبار ناتج صياغي يتوافق معه.[1]

فمطابقة الكلام لمقتضى الحال هو أساس البلاغة كلها وهو ما يجب مراعاته في الكلام حتى يصبح بليغا يتعدى مرحلة الإفهام وبهذا يكون " اللغويين العرب القدامى عند اعترافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم، لأن الإعتراف بفكرتي المقام والمقال باعتبارهما أساسيين متميزين من أسس تحليل المعنى، وقد عرف أيضا (القزوني) بلاغة الكلام على أنها "مطابقة لمقتضى الحال مع سلامة من العيوب المخلة بفصاحته أجزائه.[2]

ماهية مقتضى الحال:

التعريف اللغوي: اسم مفعول من اقتضى، واقتضى مشتق من قضى، وقضى في اللغة تعني:

* إحكام الأمر وإنفاذه،في قول (ابن فارس):" القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنقاذه لجته".[3]

أما الحال: فهو اسم يدل على الأوصاف أو الكيفيات المتغيرة أو القابلة للتغيير في شيء الذي تضاف إليه، وحال الإنسان، ما يختص به من أموره المتغيرة الحسية والمعنوية.

الحال (المقام): وهو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى إيراد خصوصية في التركيب.

المقتضى:(الاعتبار المناسب): " وهو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة."[4]

مقتضى الحال: وهو إيراد الكلام على تلك الصورة، فمثلا (الوعظ) حال ومقام يقتضي البسط والإطناب، وذلك البسط يقتضي إيراد الكلام على صورة الإطناب ومطابقة للمقتضى.

وكذلك كون المخاطب منكرا يوم البعث، حال يقتضي التأكيد و التأكيد مقتضى، وكونك تخاطبه بقولك (إن يوم الساعة لا شك فيه) مطابقة لمقتضى الحال، وهكذا مقام الذكي يخالف مقام الغبي

(1) محمد عبد المطلب: البلاغة قراءة أخرى ص:70.
(2) بثينة أيوب – أحمد محمود المصري: قضايا بلاغية – دار الوفاء لدنيا للنشر والطباعة، ط1- 2005م، ص:11.
(3) ابن فارس، احمد بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الباجي الحلبي، مصر – ط2- 1992م، ج5 ص:99.
(4) أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع) ص:35.

ومقام الذكر يباين مقام الحذف، لأن لكل منهما من الاعتبارات ما يخالف ضده"[1] ، وقد أشار (الحاجظ) إلى مطابقة الكلام لمقتضى الحال وضرب له من القران الكريم الذي خاطب المخاطبين بما يناسبهم فقال" إن الله ـ تبارك وتعالى ـ إن خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإن خاطب بني إسرائيل أو حكى مبسوطا وزاد في الكلام"[2]

فإذا كان النحو ينظر إلى صحة المعنى فإن البلاغة تنظر في مطابقة المعنى لمقتضى المقام (الحال)، فالبلاغيون يردون بمقولة " مطابقة القول" أن المخاطب من الطبيعي لا يقيم على واحدة وإنما تعتريه حالات نفسية لا حصر لها، والبليغ لا يكون بليغا إلا إذا وقف على إزاء كل حالة بما يطابقها من القول، أي أن يشتمل الكلام على الخصائص البلاغية التي تنتهي به، يقول (القزوني): "فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام كل من التنكير والإطلاق والتقديم والذكر يباين مقام الخلافة، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ومقام الإيجاز يباين مقام خلافه، والذكر والحذف، والإيجاز والإطناب"[3]، وبعقب على ذلك بقوله " وكل خطاب الذكي مع الغبي". فمطابقة كل مقام لمقال الذي يناسبه، أو الوصول إلى المطابقات السابقة يتوجب الوقوف على مباحث المعاني ومباحثها.

أما (أحمد مصطفى المراغي) فيعرف مقتضى الحال بأنه: "صورة خاصة ترد في الكلام زائدة على أصل معناها قد اقتضاه الحال واستدعاها المقام"[4]

وفي قاموس اللسانيات لـ (جان ديبوا) فنجده يشير إلى أنه: مجموعة الظروف الاجتماعية الممكن أخذها بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي... وأحيانا يوسم بالسياق الاجتماعي للاستعمال اللغوي، ونقول أيضا "السياق المقامي" أو "سياق المقام" وهو المعطيات التي يشترك فيها المرسل والمستقبل حول المقام الثقافي أو النفسي، والتجاوب المشترك بينهما ومعارف الخاصة بكل منهما.

---

(1) المرجع السابق ص:36.
(2) الجاحظ (عمر بن بحر): الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت – 1997م –مج1، ص:96.
(3) حلمي مرزوق: في فلسفة البلاغة العربية – علم المعاني – دار الوفاء للنشر والطباعة ط1 2004م، ص:78.
(4) أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص 36-37.

ومن خلال التعاريف السابقة، يتبن جليا أن مقتضى الحال يرتبط ارتباطا وثيقا بالعناصر الغير لغوية التي تكتنف الحدث الكلامي وتؤثر فيه.

المبحث الثاني: عناصر المقام.

1/ مقام المتكلم:

هناك المتكلم الذي يخاطب نفسه، وهذه المخاطبة تستلزم التجريد وذلك أن المخاطب أمام الناس فلا يخاطب نفسه حتى يجعل نفسه أمامه ليخاطبه، ولا يجعلها أمامه حتى يجرد من نفسه مخاطبا آخر أي ينتزع من من نفسه شخصا آخر يكون مثله في الصفة التي سيق الكلام لبيانه وبيان ما يلائمها ليتمكن له خطابه"[1]

ودوافع ذلك كثيرة منها تسلية وتسريتها ومنها الترنم بما يقول إرضائها، وتخفيا عنها، ومنها اجترار المحفوظ، إمضاء لأمر ونكوصا عن الفعل، أو تزويغا لتصرف أو حثا على فعل، ومنه قول (المتنبي) في بيان حاله:

لا خيل عنك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن يسعد الحال[2]

وهناك المتكلم الذي يعاتب نفسه، في قول (الحماسي):

أقول لنفسي في الخلاء ألومها لك الويل ما هذا التجلد والصبر

وهنا نجد أن (الحماسي)هجا نفسه، ومن ثم المتكلم يجب أن يكون مجيبا، وجواب الكلام هو ما يقطع الكلام فيصل من فم المتكلمين إلى السمع المستمع ولكن خص بما يعود من الكلام دون المبتدأ من الخطاب، وقد يكون الجواب في الهزل، وقد يكون في الفخر وقد يكون في تفشح، وهي أمور تناط بالمناظرة ومن ثم كانت بلاغتها مرتبطة بسرعة إرادتها، وتباين المتكلمون على قدر ما أتيح لهم من عقل واع وبصيرة نافذة وذهن حاضر، ومن ثم المتكلم الذي استغلق عليه الكلام، وثم

(1) محمد بدري عبد الجليل: تطور المقام في البلاغة العربية، ص:18.
(2) نفس المرجع، نفس الصفحة.

المتكلم الذي يضيفه المقامه، فيستغلق عليه الكلام ويصعب عليه القول ومن هنا كان فخر (لبيد بن ربيعة) 41هـ بأن يفرج المقام الضيق في قوله:

ومقام ضيق فرجته بحصان ولسان وجدل

لو يقوم الفيل أو فياله زل عن مثل مقام و زحل[1]

2/ هيئة المتكلمين:

مما لاشك فيه أن هيئة المتكلم من الأمور الحضرية التي حرص البلغاء عليها في النص وإفاضة القول فيها، فمن ذلك "وقد لا يلبس الخطيب الملحفة ولا الجبة ولا القميص ولا الرداء والذي لا يد منه العمة المخضرة، وربما قام فيهم وعليه وإزاره قد خالف بين الطرفيه، وربما قام فيهم وعليه عمامته، وفي يده مخصرته وربما كان قضيبا وربما كانت عصا، وربما كانت قناة ما هو أغلظ من الساق، وفيها ما هو أدق من من الخنصر، وقد تكون محككة الكعوب مثقفة من الاعوجاج...."[2]

يوقع بالقضيب على أوزان الأغاني، والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه، ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الألفاظ وضروب المعاني، ولو قيضت يده ومنع حركة رأسه لذهب ثلثا كلامه"[3]

فالعرب قديما كانت تخطب رواحلها، وكان شعرائها تلبس الوشي والمقطعات، والأردية السود، وكل ثوب مشهر لكل طائفة سمتها ولكل مقال لبوسه.

---

(1) نفس المرجع، ص:25.
(2) جاحظ: البيان والتبيين، ج3 ص:92.
(3) نفس المصدر، ج3، ص:119.

3/ المخاطب:

وهو عنصر من عناصر المقام، وهو إقتضاء الموقف وقد أولاه البلاغيون عناية بها خليق بما أسموه مراعاة حال المخاطب، وهو المستمع الذي عناه العاني بما صدر عنه من المقال، وهو الذي حضي بالاهتمام من مقام شارك فيه وأعان عليه إلى مقال قيل فيه و وجه إليه والإستماع تعددت منازله في القران الكريم ويراد به الإصغاء مثل قوله تعالى**"إذ يستمعون إليك"**.[1]

فالمستمع تتباين مقاماته، وتختلف صنوفه تنوعا وتعددا ".... فثم المستمع الذي تخاطبه وتعنيه بالخطاب، وتوجه إليه كلامك وليس هناك من أحد في الأمر يعنيه أو يعنيك، ومكانه منك مكانك منه يصبغ الموقف بصبغة خاصة ينقاد إليها الكلم ويرتسم لها التأليف ويتسق بها السياق وينتظمها الحديث".[2]

ومن ثم المستمع الذي لا تخاطبه ولا يعنيه الخطاب، وإنما لا سبيل إلى إغفال مكانه، ولا إلى تجاهل إشراكه في السماع، إذ إن وجوده يؤثر في مقام المتكلم، فقد تخضر كلمات وتضيع أخرى ويتفاوت ذلك ضيقا أو اتساعا بتفاوت أقدار المتكلمين، وهنا يؤثر السامع على السامعين المعنيين بالحديث فقد يخطئون في فهم ما لا يتوقعه المتكلم، وقد يصبون في دقيق الأمور ومن ثم يكون هناك ما يلهج به هؤلاء السامعين حيث ينفرط هذا المجلس والمتكلم في هذا الصدد أحوج ما يكون إلى رأي هذا السامع غير معني بالخطاب.

ومعظم النقد مصروف إلى حال المخاطب لا حال المتكلم، على غير ما هو عليه الأمر في النقد الحديث فهو مصروف بكلتيه إلى حال الأديب، وما تكون عليه نفسه وعقله، واقتصار البلاغة على حال المخاطب لا المتكلم في أغلب الأعم مرجعه في قضية الإعجاز التي دخلت بالقران في دائرة البلاغة على أيدي المتكلمين أو الفلاسفة وكلام الله ـ سبحانه وتعالى ـ والحال أو المقام أو الظروف و الملابسات لا تجوز إلا في حق الشر، فكان طبيعيا أن ينصرفوا عن ذات الله تعالى إلى المخاطب وإلى ما يعتروه من الأحوال والمقامات ويطابقون بينهما وبين خصائص الكلام وهذا معنى قولهم في البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو المقام، "ومن الطبيعي أن يبلغ القران الكريم حد

---

(1) سورة الإسراء: الاية 17.

(2) محمد بدري عبد الجليل: المقام في البلاغة العربية ، ص:37.

الإعجاز لتمام مطابقته لأحوال المخاطبين ومن غير اللطيف الخبير يعلم أخفى خفايا الأنفس وما يعتروها من حالات السخط أو الرضي أو الإنكار أو الشك أو اليقين، فيطابق بين هذه الأحوال أو مقامات أسلوب الخطاب على هذا النحو الذي اشغل العلماء في الكشف عنه في كتب الإعجاز"[1]

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ خبير وعليم بما في الصدور، ويعلم ما يبطن الإنسان وما يخفي من سخط ورضا وإنكار وشك ويقين فيطابق بين أحوال الناس ومقاماتهم، وأسلوب الخطاب الملقى عليهم ـ القران الكريم ـ وهو بذلك كان معجزا بألفاظه ومعانيه ومطابقا لمقامات الناس (أحوالهم) هذا الأخير الذي أصبح مدار بحث العلماء.

4/ المتكلم والمخاطب وظروف المقال الغير لغوية.

إن الشبكة التي تؤسس عملية التخاطب شبكة معقدة وهي تؤكد أن ظروف المقال غير اللغوية كالمتكلم والسامع تقوم بدور هام في تحديد خصائص الخطاب، ذلك أن جزء من معاني المفردات والجمل المستعملة يعتمد على الخبرة المشتركة بين المتكلم والمتلقي، وقد تقاسم الجهد البلاغي ظاهرتا الملفوظ والتلفظ، فالملفوظ هو بنية الخطاب وخصائصه النحوية والبلاغية العامة من جهة أن الخطاب(النص) بناء وتشكل لغوي قائم بذاته ولا دخل لملابسات إنجازه في تحديد صفاته، وهي وضعية نظرية تكاد لا تكون ولا تتم لنص من النصوص، أما التلفظ فيقوم به متكلم يكون معروفا في إطار زماني ومكاني يخرج به النص من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل و بموجب هذه العملية (الإخراج) تتدخل هذه عناصر أخرى كالمتكلم والسامع والسياق".[2]

والمتكلم حين يختار نظما نحويا على آخر فإنه يخضع لظروف غير لغوية يقوم البلاغي مراعيا مختلف حيثيات المقامية التي تساهم في تحديد خصائص الجملة، فالمتكلم يمثل منزلة مرموقة في البلاغة العربية، فهو طرف أساسي في عملية الكلام.

يستجيب المتكلم في عملية الكلام للمقتضيات المقام، فهو الذي يعمل الأعمال الدلالية التي تصبح عند النحوي إلى مفاهيم بلاغية من خلال مطابقة الكلام لمقتضى الحال من عمل المتكلم أي مراعاة

---

(1) حلمي مرزوق: في البلاغة العربية ص: 82.

(2) حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وطوره إلى القرن السادس عشر – مشروع قراءة منشورات كلية الادب والعلوم الانسانية – تونس – ط1- (د ت) ص: 299.

المقام طبقا للأصول الموضوعية، كما أن اعتبار المخاطب قد يؤدي إلى خلق حالة معاكسة تماما لما كان المتكلم يروم فيه فمعرفة أقدار المنزلة واجبة لإفهام كل قوم بمقدار طاقته، فمهام المتكلم يجب أن يبلغ السامع مبتغاه ومقصده وجلب انتباه، يقول (ابن جني): "فلو كان استعمال الأذن مغنيا عن المقابلة العين مجزئا لما تكلف القائل ولا كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه..... وعلى ذلك قالوا: رب إشارة أبلغ من عبارة وقال لي بعض مشايخنا ـ رحمه الله ـ أنا لا أحسن أن أكلم إنسانا في الظلمة".[1]

و(بشر بن المعتمر) لما أوصى المتكلم "أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل كلام ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات".[2]

فمراعاة حال المتكلم شكلا ومضمونا تقف جنبا إلى جنب مع مراعاة حال المخاطب ولهذا قال(الجاحظ): "إن المفهم لك ومفهم عنك شريكان في الفضل إلا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلم، هكذا ظاهرة هذه القضية وجمهور هذه الحكومة"[3]، إن كلا من مقام المتكلم والمخاطب عناصر غير لغوية وهي تمثل ضغوطا إنجازية قصوى إن روعيت حسن الكلام ونجحت العملية التواصلية وأرتقت أعلى القمم البلاغية، فلا يمكن للمعنى أن يكون دون إستحضار المقام الحي والمتكلم الفطن والمخاطب اليقض.

---

(1) ابن جني (ابو الفتح عثمان): الخصائص – تحقيق عبد الحكيم بن محمد: المكتبة التوفيقية – سيدنا الحسين 418/ ج 1، ص:217..
(2) الجاحظ: البيان والتبيين، ج1/ ص 136-137.
(3) نفس المصدر، ج1، ص 11-12.

المبحث الثالث: أنواع المقام.

انطلاقا من تعريف المقام نجد بأنه يختلف باختلاف أحوال المتلفظين وقدرتهم على التفاعل والاستجابة، أو الجدل بين شركائهم خلال عملية التواصل، إضافة إلى إختلاف دوافعهم الكامنة خلال عملية التلفظ، وهذا ما يسمح لنا برصد ثلاثة أنماط من مقامات التلفظ:

3-1 إما أن يكون بمثابة موضع لإقامة المقيمة:

أي: إقامة كل طرف من أطراف العملية التلفظية فيما هو محدد له أن يقيم فيه أو فيما يمثل موضعا لإقامته، متضمنا لزوم كل طرف من أطراف العملية التواصلية ما يجب عليه أن يلزمه من مجاري الكلام، وأن يلتزم به من أنظمة وسنن".[1]

3-2 إما أن يكون موضع للإقامة والمقاومة في آن واحد:

أو يكون بمثابة موضع للإقامة والقيام، حسيا ومعنويا فهو حسيا بوقوف الكائن المتلفظ أمام مخاطبيه (خطبة مثلا)، ليلقي عليه ملفوظاته المعبرة عن مقالته، أو ليبلغهم خطابه(رسالة)، ومعنويا بأداء الكائن المتلفظ ما يجب عليه أدائه نحو من يتلفظ إليهم أو يخاطبهم، ونحو ما يتلفظ عنه (موضوع الرسالة)، وما يتلفظ به (لغة الملفوظ)، وفيه مقام التلفظ وسياقه، وله أو لأجله أي الغرض من التلفظ في ملفوظه فهو موضع قيام كائن المتلفظ حسيا ومعنويا بما يجب عليه القيام به نحو ذاته المتلفظة من جهة، ونحو الأطراف الأخرى التي يتبادل معها، أو يصوغ لأجلها ملفوظه من جهة أخرى". وهنا يغدو مقام التلفظ بالنسبة لهذا الفريق من المتلفظين عبارة عن موضع تفاعل وجدل مع كل أطراف عملية التواصل دون استثناء.

3-3 بمثابة موضع للقوامة والقيومية:

أي بمثابة موقع لممارسة السلطة، وفرض الإدارة من طرف واحد فقط، وهو كائن متلفظ أو يمثله أو يرمز إليه، أو يتلفظ باسمه، ومن ثمة فهو بمثابة موضع لتعالي الكائن المتلفظ على عالم التلفظ برمته، فالعالم المتعالي هو كائن المفارق بذاته وصفاته لما هو قائم به، وهذا يقتضي " إن

[1] عبد الواسع الحميري: ما خطاب وكيف نحلله؟ ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – ط1- 2009م، ص62.

الأصل في مقام التلفظ عموما، أنه قد يمثل لبعض المتلفظين أو موضعا للاستلاب والتبعية، تبعية الكائن المتلفظ لما يتلفظ عنه وبه وفيه ولأجله وإليه، وخضوعه في تلفظه، لشروطه الكاملة".[1]

وهنا يغدوا المقام موضعا لتألق حضورهم الإجتماعي لا أكثر ولا أقل، ويعتبر المقام بالنسبة لفريق آخر من المتلفظين ولشعورهم ومن ثم بفرادتهم وتفردهم دون باقي أفراد مجتمعهم التلفظي الذي ينتمون إليه (المقام بوصفه موضعا للقوامة والقيومية)، "وقد يمثل المقام بالنسبة لفريق ثالث من المتلفظين موضعا لتألق حضورهم الكياني أو الكلياني المركب، بحكم أنه موضعا لانفتاحهم وتفتحهم كل كلية أوضاعهم (السيو أنطولوجية) الخاصة و العامة".[2]

ما يعني أن مقام التلفظ، قد يكون بمثابة موضع للانطلاق الكائن المتلفظ وتحرره، وقد يكون بمثابة موضع لتعالي الكائن المتلفظ وتسلطه، وقد يكون بمثابة موضع لسقوط الكائن المتلفظ، مما يضعنا إزاء ثلاثة أنواع من ملفوظات (مقالات) والنصوص تجسد في جملها ثلاثة أشكال من أنظمة التفاعل:

1- مقام هو عبارة موضع لإقامة التلفظ: سقوط المتلفظ في عالم ما يتلفظ عنه وبه و فيه وله وإليه ويمننا اعتبار هذا المقام في هذا الشأن بمثابة موضع لتألق الغياب أو الحضور التبعي أو الوظيفي للكينونة المتلفظة بشكل عام وهذا ما نجده في التواصل السوسيو ثقافي.

2- مقام هوعبارة لإقامة المتلفظ ومقاومته: ويمكننا اعتبار المقام فيه بمثابة موضع تألق الحضور الكلي أو الجدلي للكينونة المتلفظة بشكل عام.

3- المقام عبارة عن موضع لإقامة المتلفظ وقوامته: تمكننا هنا اعتبار المقام الذي هو شأنه بمثابة لتألق الحضور المتعالي (ممارسة السلطة).

---

(1) المرجع السابق، ص: 62.
(2) المرجع السابق، ص63.

المبحث الرابع: منزلة المقام في العلوم الاخرى:

1/ المقام في الوعى البياني (البلاغي):

المقام في البلاغة نظر إليه بوصفه يجمع بين عملية التواصل وما يستدعي في عملية التلفظ وفرض شروط الملفوظ، لذلك البلاغيين ينظرون إليه مقام تكلم، أو مقام خطاب، أو مقام غيبة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالمقام يكون مقام إثبات، أو مقام نفي، أو مقام استفهام، أو مقام استفهام، أو مقام تخصيص وتحريض أو مقام مدح ....الخ، وهنا يجب الإشارة إلى (بشر بن المعتمر) الذي كان أول من أشار إلى المقام وبين أهميته خلال عملية التلفظ من خلال نقله عن (الحاحظ) في هذا السياق " المعنى ليس يشرف أن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضح أن يكون من معاني عامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام مقال" [1]وفي موضع آخر يوضع أهمية المقام وما ينبغي على المتكلم مراعاته خلال عملية التكلم " وينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينهما وبين الأقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات، فإن كان الخطيب متكلما تخنب ألفاظ المتكلمين، كما أنه عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين، إذا كانوا لتلك العبارات أفهم، وإلى تلك الألفاظ أميل، وإليها أحن، وبها أشغف".[2]

2 ـ المقام في الوعي التداولي للخطاب:

اهتمت التداولية بالخطاب وأولته أهمية كبيرة وذلك من خلال الإنتاج اللغوي وعلاقته بالظروف المقامية والوظيفة التواصلية التي تؤيدها في هذه الظروف، والتداولية في العموم يهتم بجميع شروط الخطاب، وتعتمد أسلوبا ما في فهمه وإدراكه، بدراسة كيفية استخدام اللغة، فهذا العلم يدرس تأثير المقام في المعاني والملفوظات (الأقوال)، والأصل أن المقام يتألف من:

1 ــ عنصر المشاركين في القول. 2ـ مكان القول. 3ـ زمان القول. 4ـ هدفه وغاية منه.

(1) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، - ج1، ص136.
(2) نفس المصدر،ص:137.

5- موضعه. 6- جنس الخطاب (الذي جرى فيه القول). 7- إضافة قناة التعبير واللهجة المستعملة فيه وقواعد توزيع الكلام. 8ـ معارف المشتركين عن العالم ومعرفة بعضهم بعضا، إضافة إلى المعرفة الخلقية الثقافية للمجتمع الذي انبثق فيه الخطاب"[1]

أما النواة التي تشكل المقام ضمن العناصر العديدة المذكورة أعلاه فتتمثل من المشاركين في الخطاب وإطاره الزماني والمكاني، والهدف من إجرائه " هذا على أنه يمكن النظر إلى المشاركين في الخطاب ـ حسب هذا الوعي ـ بوصفهم ـ من جهة ذوتا اجتماعية أو بيولوجية يمكن وصفها بمعزل عن الخطاب من جهة، وبوصفهم من جهة أخرى أدوارا يقومون بها في الخطاب (كاتب بائع، تلميذ.....من جهة أخرى".[2]

ويذهب (براون و بول) إلى أن اهتمام العمل اللساني بالمقام يربط الأصناف التالية بعضها ببعض:

أ ـ الخاصيات المتعلقة بالأطرف المشاركة كالأشخاص والشخصيات:

ـ الفعل الكلامي للأطراف المشاركة.

ـ الفعل الغير كلامي للأطراف المشاركة.

ب ـ الأشياء المتعلقة بالموضوع.

ج ـ وقع الفعل الكلامي.

د ـ يضاف إلى تلك الخصائص العامة للقناة (كيفية ربط حلقة الوصل بين الأطراف المشاركة في الفعل الكلامي، لفظا أم كتابة، أم إشارة) والشيفرة المستعملة، أي اللغة أو اللهجة أو الأسلوب المستعمل ووضعية الرسالة، حديث عابر غير رسمي أم مناظرة أم خطبة... الخ والحدث أي طبيعة الحدث التواصلي الذي يمكن أن يضمن داخله نمطا خطابيا معينا.

---

(1) عبد الواسع الحميري: ما خطاب وكيفي تحليله؟ نقلا عن صابر حباشة : من اليات تحليل خطاب جذور ، ج22 مج 6 ديسمبر 2005، ص: 332.

(2) نفس المرجع: ص:58.

3-المقام والحال:

الفرق بين المقام والحال هو أن المقام أعم دلالة من الحال، كونه يتعلق بوضع الإنسان في علاقته بالعالم الخارجي، مكانا وزمانا وكائنات، أما الحال فخاص، كونه مما يتعلق بوضع الإنسان في علاقاته بذاته أو بعالمه الداخلي، بمعنى أنه تخص المتكلم المفرد، فالمقام ثابت أما الحال فطارئ متحول، هذا وقد ميز(الكفوي) بين الحال والمقام "باعتبار أن الحال ما يكون عليه الإنسان من خير أو شر، ويطلق على الزمان الحاضر، وعلى المعاني التي لا وجود لها في الذهن، لا في الخارج كعرضية العرض"والحال يختص به الإنسان وغيره من أمور المتغيرة في نفسه وجسمه وصفاته وفي تعاريف أهل المنطق الحال هي كيفية سريعة الزوال نحو الحرارة وبيوسة ورطوبة عارضة والهيئة النفسانية أول حدوثها قبل أن ترسخ يسمى حالا، وبعد أن تترسخ تسمى ملكة، والأمر الداعي إلى إيراد الكلام على وجه الخصوص، وكيفية معينة من حيث أنها منزلة مكان حلى فيه ذلك الوجه المسمى مقاما.

4 - المقام في الوعي العرفاني:

لقد أجمع أهل التصوف حسب بغض الباحثين على أن المقام هو الإقامة ومقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك، فلقد قالوا أن المقام هو مقام العبد بين يدي الله ـ سبحانه وتعالى ـ فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضيات (مقام الخضوع و انكسار)، "واعتبروه ما تحقق العبد بمنازلته من الأداب، ومما يتوصل إليه بنوع من التصوف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف، وإنما سمي المقام مقاما لثبوته واستقراره وهي الفكرة التي بلورتها تقاليد التصوف بعبارة مقامات المكاسب في كسب حدوثها الذاتي، أي كسب الإرادة في الثبات على التغيير وتعكس وحدة الثبات و التغييرالمميز لماهية المقام وحقيقته في أبعادها العامة والخاصة أسلوب بناء"الأنا العرفانية" وربط سلسلة كيانها الروحي، فالعام فيها هو الكمي الظاهر الشرائعي والخاص هو النوعي الباطني"

وقد أسموه بمقامات الدين واحيانا مقامات اليقين، فهي التوليف النموذجي لربط تراث الثقافة بتراث الحق، ونعني بثبات التغيير ـ حسبهم ـ هو الأساس الذي يؤدي إلى الفناء في المقام والبقاء في حقائقه المتعالية، لذلك نجد المقام في الوعي العرفاني يتألف من ثلاثة مقومات رئيسية:

1- مقوم العلم أوالمعرفة.

2- مقوم الحال التي عليها.

3- مقوم الفعل أو السلوك.

5- المقام والسياق:

5-1 السياق في اللغة: استعمل العرب الألفاظ المأخوذة من مادة (س، و،ق) على النحو التالي:" ساق الابل وغيرها يسوقها سوقا ... و قد انساقت وتساوقت وانقادت

اذا تتابعت وتقاودت فهي متقاودة، وفي حديث أم معبد: فجاء زوجها يسوق أعنزا ما تساوقت اي ما تتابعت. المساوقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا". [1]

وذهب (ابن فارس) في معجمه مقاييس اللغة ألى أن " السين والقاف و واو أصل واحد، يقال ساق يسوق سوقا" [2]و " المنساق التابع والقريب".[3]

وقد جاءت لفظة (السياق) التي أصلها (السواق) وإنما قلبت الواو لكسرة السين، فهي مصدر من ساق يسوق. وقد سميت الصداق سياقا إن كان دراهم أو دنانير لأن الأصل في الصداق عند العرب هو الإبل وهي التي تساق". ويقال :" ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة، أي بعضهم على أثر بعض، وليست بينهم جارية".

والسياق لانسياق لا غيره، اما سياق الحديث في قولنا:" هو يسوق الحديث في أحسن سياق، وهذا الكلام مساقه الى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه" ؛ يعني " على سرده...." كما جاء في اساس البلاغة.

---

(1) ابن منظور: لسان العرب: ج10، ص 166-167.
(2) ابن فارس: مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون- دار الجيل - بيروت، 1999م، ج3، ص 117.
(3) الفيروز الآبادي: قاموس المحيط، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م، ج3، ص:335-336.

وعن مفهوم السرد قال (الزمخشري) : " و سرد الحديث والقراءة جاء بهما عن ولاء" أما (ابن منظور) فقال:" وسرد الحديث ونحوه، يسرد سردا اذا كان جيدا لسياق له"؛ وهذا يعني أنه اذا اضفنا السياق الى الحديث أو الكلام يعني ذلك السرد.

ومادة (س، و، ق) و مشتقاتها وردت عند العرب بمعنى المتابعة والاتصال و الانتظام.

2-5 السياق في الاصطلاح:

ينحصر مفهوم لفظ (السياق) في ثلاثة نقاط:

أ- السياق هو الغرض: أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام، واستخدام هذا المصطلح بهذا المفهوم شائع بين البلاغيين و الاصوليين. [1]قال (السرخسي) :" القرينة هي التي تقترن بلفظ المتكلم، وتكون فرقا فيما بين النص وظاهر هي السياق، بمعنى الغرض الذي سبق من أجله الكلام ".[2]

فالسياق هو الغرض الذي سبق لأجله الكلام بدليل الحكم اخر ثابت بالاشارة استناد الى النص وبالعلامة لغوية هي اللام التي صرفت دلالتها لاختصاص وقال (السلحماسي) في تعريفه سياق بأنه: "ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول" [3]

كان السياق لاجله ويعلم قبل التأمل أن ظاهر النص متناوله" فالاية الكريمة" **والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود رزقهن و كسوتهن بالمعروف**"[4]؛ تدل العبارة على أن نفقة الوالدات واجبة على الاباء، لأن هذا هو المتبادر من ظاهر اللفظ، وكان السياق لاجله وتدل بالاشارة على أن ينسب الولد ألى أبيه دون أمه لأن النص في قوله" وعلى المولود له" أضاف الولد اليه بحرف اللام التي هي اختصاص.

---

(1) أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة 1922م، ج1 ص 488.
(2) محمد أحمد السرخسي: أصول السرخسي: تح: أبو وفاء الأفغاني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ج1، ص:164.
(3) أبي محمد القاسم الأنصاري السجكماسي، المنزع البديع في أساليب البديع، تح، علال الغازي، مكتبة العارف، ط1، 1981م، ص: 188.
(4) البقرة، الاية 233.

ب/ السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي قيل النص بشأنها:

وأوضح ما عبر به هذا المفهوم لفظ الحال والمقام عند البلاغيين، ويتضح هذا المفهوم ان السياق تجسيد لتلك التتبعات اللغوية في شكل خطاب، من وحدات صرفية، صوتية، معجمية وما بينهما من ترتيب وعلاقة تركيبية ، فقد غدا مصطلح السياق من المصطلحات الشائعة والموثرة في الدرس اللغوي الحديث ليتسع مفهومه خصوصا في الدراسات التداولية، فقد تجاوز مفهوم تجاوز مفهوم مفهوم السياق النموذجي الى التعريف الأرحب فأصبح " يعرف بمجموعة الظروف التي تحق فعل التلفظ وفق كلام{...} وتسمى هذه الظروف في بعض الاحيان بالسياق "، وقد يتلبس مصطلح السياق مصطلح اخر هو المقام عند العرب وهذا الالتباس ممتد بين زمنيين وثقافتين، فقد شاع مصطلح المقام عند العرب قديما عندما استعملوه في الدراسات البلاغية، في حين استعمل المحدثين خصوصا الغربيين مصطلح السياق.

لذا يجب الأخذ بالاعتبار العالم الاجتماعي والنفسي الذي يؤثر على مستعملي اللغة في اي وقت كان.

ج- ما يعرف بالسياق اللغوي:

ويشمل العناصر اللغوية السابقة للكلام أو اللفظ والعناصر اللغوية اللاحقة له قال (البناني)" السياق هو ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسبوق لذلك او لاحقه"، وفي ما جاء عند العرب " يبتدئ العرب الشيء من كلامها بين اول لفظها فيه عن اخره وتبتدئ الشيء بين اخر لفظها منه عن أوله"؛ [1]ويعني ذلك السياق واستعاب السياق لجميع مما سبق ذكره هو الذي يحدد المصطلح بمفهوم العام.

وهو الأكثر شيوعا في البحث المعاصر، فالسياق اللغوي هو جواب بديهي عندما تتبادر الى اذهاننا " ما هو السياق؟" فهو: إنه حسب معجم تلك الأجزاء من الخطاب التي تلحق بالكلمة في المقطع وتساعد في الكشف عن معناها وسوف ندعوا هذا بالتعريف النموذجي".

(1) الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1978م، ص52.

والسياق هو ممارسة متصلة بفعل اللغوي، الذي يتجاوز بمجرد التلفظ بالخطاب بدءا من لحظة إعمال الذهن للتفكير في الإنتاج، مما يضمن تحقيق مناسبته التداولية، وبهذا فإنه يتمثل فيما يمكن إن نسميه الجو الخارجي الذي يلف بإنتاج الخطاب، من ظروف وملابسات ، ويعد العنصر الشخصي من هذه الحالات الثلاثة، فمعرفة اللغة عنصر عنصر مهم في السياق، وذلك لتحديد طرفي الخطاب في معرفة المعالم.

وهو تلك العلاقات الداخلية التي تتحكم في دلالة النص أو الخطاب، أو حتى الجملة. فكل إنتاج لغوي لا يمكن أن يكون رصفا ميكانيكيا للوحدات المكونة له فحسب، بل يجب مراعاة القوانين الداخلية التي تسهم كثيرا في تماسك هذه الوحدات وترابطها، من أجل تحقيق غايتها التي هي المعنى؛ لأن المعنى شرط أساسي يجب أن تقوم عليه كل وحدة في اي مستوى من أجل تحقيق شكل ليساني، فالمعنى والدلالة لهما جانب من الارتباط بالسياق اللغوي، لذا نلجأ الى السياق في فك الغموض،

أنواع السياق:

يعدّ (برايت) أن تصنيف السياق هو أيسر الطرق لتصنيف التداوليات إلى عدة أنواع هي: سياق القرائن(co-text as context)، وهذا ما يسمى بنحو النص ،السياق الوجودي(existential context)،السياق المقامي (situational context)، سياق الفعل (actional cotext)، السياق النفسي(psycological context) ، ومن مميزات هذا التقسيم أنه يغفل الفصل بين ما ينتسب إلى اللغة، وما ينتسب إلى عناصر التي تؤثر في شكليها الخطابيا ونتأت عليها بشيء من الإجمال.[1]

1- السياق النصي:

قدم نحو النص وتحليل الخطاب بعض اليات لتحليل الوحدات اللغوية الكبرى مثل: العبارات، أجزاء الخطاب خلال المحادثة والمحاورة وكذلك النماذج الحجاجية في الخطاب كخطاب السياسي، حيث نجد أن النحويين لم يتجاوزوا السياق النصي في تركيب حد الجملة

[1] ينظر: الشهري عبد الظافر: استراتجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب، مصر، ط1، 2004م، ص:43.

في تحليلاتهم، حتى (تشومسكي) في نظريته التوليدية التحويلية، فقد كشفوا عن علاقات تتجاوز الإحالة بين الجمل، فلقد اعادوا بناء تماسك النص؛" بوصفه نظاما أكبر من ما في النحو، ليمكن المرسل إليه من إكتشاف دلالة هذه الوحدات الكبرى لذا من المهم النظر إليه من خلال علاقته بالإجراءات الاجتماعية النفسية".[1]

2- السياق الوجودي:

" يتضمن هذا السياق المرجعي، بطبعه(عالم الأشياء، حالاتها، الأحداث) والتي ترجع إليها التعبيرات اللغوية وذلك من خلال الإنتقال من الدلالة إلى التداولية ويتم خلال ذلك إدراك المرسل والمرسل إليه، موقعهما الزماني والمكاني هي مؤشرات للسياق الوجودي. وعندما توضع هذه الإشاريات في الاعتبار فإنه يمكن وصف معنى التعبيرات اللغوية إشاريا يقود إلى صنف إشاري إلى الدلالة.

3- السياق المقامي:

عند تعبير المرسل عن مكونات العالم الحقيقي، او عن العالم الممكن بتعبيرات لغوية(سيميائية)، فإن السياق المقام يوفر جزئيا بعض عوامل أو محددات التي تسهم في تحديد معاني التعبيرات اللغوية، والمقامات بوصفها سياقا، إذ تؤطر هذه المحددات خصائص المحادثة وكذلك بناء خطاب اقناعي وحجاجي من خلال قوانين وأنظمة معينة.

4- سياق الفعل:

يعد الأفعال اللغوية أصنافا جزئية من السياق المقامي، حيث يرى(أوستن)،" أن التسلسلات اللغوية تعبر عن أفعال بل هي افعال نفسها"، [2]فلم يعد هناك جمل وصفية بحتة ذات معنى ثابت، دون أن تكون منطوقات أدائية، فهي مراحل متأخرة من هذه النظرية- نظرية أوستن - التي تبين أن كل جمل تقال لها قوة انجازية خاصة في دور العرف الاجتماعي (التعاقدي) لانتاج اللغة، وقد وافقه في هذا (ديكرو) مؤكدا أنه هناك

(1)) ينظر: المرجع السابق، صفحة نفسها.
(2) ينظر: المرجع نفسه، ص:44.

شروط الاعتبار اللغة فعلا. ومن وجهة وجهة نظر تداولية فإن الأفعال اللغوية أفعال إرادية يقصد المرسل إنجازها ويريد أن يدرك المرسل إليه هذا القصد.

5- السياق النفسي:

يقود إلى دمج الحالات الذهنية والنفسية في نظرية تداولية اللغة، باعتبار الخطاب فعلا،" وأن الفعل اللغوي قصد مشروع، لتصبح حالات الذهنية مسؤولة عن برنامج الفعل والتفاعل"، وهذه الحالات هي مناط اهتمام الوصف والتفسير التداولي، بوصفها السياق النفسي لإنتاج اللغة وفهمها.[1]

ولسعة هذا المدلول (السياق) أحجم آخرون عن تحديده، نحو قولهم: "السياق مفهوم مركزي طابعه تداولي، ولكننا لا نعرف أين يبدأ وأين ينتهي" ولذلك تعدد أنواعه فذكروا:

*السياق الظرفي أو الفعلي: (يستعمل هوية المتخاطبين ومحيطهم الزماني و المكاني).

*السياق التداولي(الموقفي): يتضمن الغايات الممارسة خطابيا.

*السياق الإقتضائي: يرتبط بحدس المخاطبين .

*السياق اللغوي(النص المساعد): هو مجموعة الكلمات المجاورة التي تحدد مدلول الكلمة.

*السياق غير اللغوي: هو مجموعة الظروف الاجتماعية التي تحدد مدلول الخطابات.

إلى جانب السياق الثقافي، العاطفي..... وغيرها.

[1] ينظر: المرجع السابق:الصفحة تفسها.

الفصل الثاني:

تمظهرات المعطى المقامي في البلاغة العربية

المبحث الأول: مفهوم البلاغة.

أ- البلاغة في اللغة:

البلاغة في لسان العرب لـ (ابن منظور) هي:الانتهاء والوصول، يقال:"بلغ الشيء بلوغا وبلاغاً وصل وانتهى، والبلاغ: ما يتبلغ به، ويتوصل إلى الشيء المطلوب، ورجل بليغ: حسن الكلام فصيحه، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، وقد بلغ بلاغة صار بليغا".[1]

والبلاغة: الفصاحة، والبلغُ والبلغُ: البليغ من الرجال. ورجلٌ بليغٌ وبلغٌ وبَلَغ: حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، الجمع بلغاء"[2]

وقد سميت البلاغة بلاغة:" لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، وسميت البلغة بلغة؛ لأنك تتبلغ بها فينتهي يك إلى ما فوقها وهي البلاغ، ويقال: بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغا".[3]

قال (عبد الله بن المقفع):" البلاغة لمعان تجري في وجوه كثيرة؛ فمنها ما يكون للإشارة، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون سجعاً، ومنها ما يكون خطباً والإيجاز هو البلاغة"

لم يستثقل (الجاحظ) نقل تعريفات البلاغة عند العرب والأمم الأخرى، وذلك إيمانا منهم بتعدد علم البلاغة وشموليته وتعدد أسس النصية والمعرفية:"قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل. وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام. وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة. وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة.

---

(1) لسان العرب: ابن منظور، مادة: بلغ ج8/ ص399.
(2) المصدر السابق: ج8،ص:420.
(3) أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تر:مفيد قبيحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1939م،ص:10.

ب ـ البلاغة في الاصطلاح.

جاء في جواهر البلاغة لمؤلفه (أحمد الهاشمي) تعريف البلاغة على أنها مقتضى الحال وهو: "ما يدعو إليه الأمر الواقع؛ أي ما يستلزمه مقام الكلام، وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص، ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين، واعتبار طبقاتهم في البلاغة و قوتهم في البيان والمنطق، فللسوقة الكلام لا يصلح غيره في موضعه الغرض الذي تبين له، و لسراة القوم والأمران فن آخر لا يسد مسد سواه، من أجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة بقدر تفاوت الاعتبارات والمقتضيات".[1]

فالبلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى حال السامعين مع فصاحته، وهي تقوم على ثلاث دعائم وهي:

أولا: اختيار اللفظة.

ثانيا: حسن التركيب وصحته.

ثالثا: اختيار الأسلوب الذي يصلح للمخاطبين، مع حسن ابتداء، وحسن الإنتهاء.

وهذه الدعائم الثلاثة مهمة جدا في وصف الكلمة بالبلاغة، فهي مؤثرة في نفوس المتكلمين وبالتالي تنتج دعامة رابعة للبلاغة وهي التأثير.

ومن تعريفاتها أيضا هي:" هي فن تطبيق الكلام المناسب للموضوع، والحالة على حاجة القارىء، أو السامع".[2]

فالبلاغة هي مطابقة بين حال المخاطب وقول القائل، فالكلام يجب أن توصف بالبلاغة وهي" أن تكون مفردات الكلمة فصيحة لا تتنافر بين حروفها ولا غرابة في ألفاظها، ولا

(1) أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة: ص:29

(2) بدوي طبانة: البيان العربي، دار المنارة جدة، دار الرافعي الرياض، ط3، 1966م،ص:274.

خروج عن القياس الصرفي كما تكون مجموعة الكلمات متآلفة بعضها ببعض، ويشد بعضها بعضا فيصير الكلام حلوا ويصبح بليغا".[1]

وللبلاغة شرط أساسي لابد من ذكره وهو الفصاحة، فلا يمكن أن نحكم على كلام بأنه بليغ أوفصيح لأنه ليس كل بليغ فصيح وليس كل فصيح بليغ.

فرق (أبو هلال العسكري) في كتابه الصناعتين بين هذين المصطلحين في قوله: " فالفصاحة والبلاغة عنده: ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف أصلهما؛ لأن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له".[2]

وجعل (ابن سنان الخفاجي)" الفصاحة مقصودة على وصف الألفاظ والبلاغة لا تكون إلا وصفا لألفاظ مع المعاني، ويقصر الفصاحة على الجانب اللفظي للكلمة المفردة، أو المؤلفة مع غيرها".[3]

أما بلاغة الوصف للتركيب بما يشتمل عليها من الجانب اللفظي والمعنوي، قال الفارسي:" البلاغة هي معرفة الفصل من الوصل، وجعل اليوناني " البلاغة هي تصحيح الأقسام واختيار الكلام"[4]

قسم العلماء البلاغة إلى ثلاثة أقسام تتمثل فيما يلي:

- علم المعاني: وهو أول علم من علومها، وهو يشتمل على الكثير من موضوعاتها وله تعريفات كثيرة منها: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي الذي يطابق الحال. ويعرف أيضا (أحمد الهاشمي) قائلا: هو أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بجيث يكون وفق الغرض الذي سيق له".[5]

(1) عبدالقادر حسين: فن البلاغة، عالم الكتب، بيروت، ط4، 1984م، ص:73.
(2) أبو هلال العسكري: الصناعتيين،ص:17.
(3) البيان والتبيين:ص33.
(4) المرجع نفسه ص 33.
(5) أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة:ص37.

- علم البيان: وهو الفرع الثاني من فروع البلاغة، وهو محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، مع الدلالة عليه مع احتراز الوقوع في الخطأ لتمام المعنى المراد.

- علم البديع: هو الفرع الثالث من فروع البلاغة العربية، يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة وله ضربان: ضرب يرجع إلى المعنى وضرب آخر يرجع إلى اللفظ.

ج- العلاقة بين بلاغة ولسانيات الخطاب.

تتوجه البلاغة إلى المستمع والقارئ لتؤثر فيه، وهذا التأثير له خصوصية في البحث اللغوي النصي، حيث لا تزال قواعد بناء النص البلاغية ضرورية ولا يمكن الاستغناء عنها في دراسة النص خاصة النص الشعري،وفي الحديث عن العلاقة بينهما لا من الإشارة إلى التقارب المنهجي بينهما في النظرة إلى النصوص بصفة عامة وفي هذا يقول (حسن سعيد بحيري):" لا يخفى أن لمناقشتنا لحدود البلاغة علاقتها بعلم النص دلالة واضحة على الصلة بينهما إلى حد الذي يجعل الباحثين يعدها السابقة التاريخية لعلم النص".[1]

وهذا ما يؤكد قول (فان دايك): البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجُهها العام، المتمثل في وصف النصوص وتحديد وظائفها المتعددة.

فنظرات لسانيات النص وأفكارها بزغت من البلاغة القديمة، إذ أن البحث في ممارسة الخطاب (الكلام) في البلاغة القديمة يضم عددا من نظرات والقواعد الخاصة بتنظيم النصوص، فهي استخدمت في ترتيب الأفكار والقواعد المحددة للنص لتحقيق أهداف بلاغية. فالعلاقة بينهما علاقة تفاعلية مستمرة لأن النص كعلم هو إطار عام لدراسة المجددة لعلم البلاغة في الاتصال. فبالرغم من أن البلاغة فقدت أهميتها في فترات سابقة، إلا أن العودة إلى أبعادها الفلسفية والحجاجية والدلالية ضروري لا محال.كالاستفهام وأدواته التي تستعمل بحسب المقام، وعن نظرة الاستلزام الحواري، والحذف وإيجازه فقد استشهد بالذكر

[1] حسن السعيد بحيري: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان،ط1، 1997م، ص:20.

الحكيم وذلك في قول الله – سبحانه وتعالى-***وسئل القرية التي كنا فيها*** [1]فصانع الخطاب حسبه يجوز له الحذف وهنا يبرز أهمية أفعال اللغة وفق إمكانيات .

المبحث الثاني: الأبعاد المقامية في البلاغة العربية (الجاحظ255هـ).

يعد الحاجظ من السباقين في تاريخ الدراسات اللغوية والأدبية الذين تفطنوا بشكل جلي لفكرة المقام ودوره في التواصل، فالبلاغة العربية لم تخلق مكتملة الأسس والمباحث والقواعد، بل نشأت مجرد أفكار وملاحظات بسيطة متناثرة وغير ملتحمة، شأنها شأن كل علم في بدايته الأولى، إذ بلغ العرب مرتبة راقية في تلك الحقبة، وغير دليل في قول الله- سبحانه وتعالى- ***الرحمن(1)علم القرآن(2) خلق الإنسان(3)علمه البيان(4)***[2]من أكبر الاشارات الدالة على ما وصلوا إليه من حسن البيان أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- دعاهم إلى هذا التحدي بالطبع، بحكم أن مشركوا قريش كانوا يدركون تمام الإدراك بفضل فطرتهم اللغوية التي كانوا يتميزون بها أن في النظم القرآني أعور عظيمة تخرج عن استطاعة البشر وقدراتهم، وهو ما قاله (الوليد بين المغيرة) " لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن؛ إن له حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وأنه يعلو ولا تعلى".[3]

بعد ظهور الإسلام بدأت تنمو بعض الملاحظات البيانية، وذلك بما نصبه هذا الدين أمامهم من مثال أدبي رائع لم يسبق له مثيل، بإضافة إلى أحايث الرسول –صلى الله عليه وسلم- التي كانت تديع على كل لسان، وخطب الصحابة أمثال الإمام علي-كرم الله وجهه- التي تميزت بالبلاغة والفصاحة.

شاعت هذه الملاحظات البيانية واتسعت صدر العصر العباسي، ومن مظاهر هذا الإشعاع ظهور طائفة المتكلمين الذين حرصوا كل الحرص على حدق فنون البيان والتمرس بأساليب القرآن وطرقه حتى يتسنى لهم شرح عقائدهم الكلامية للناس ودفاع عنها ضد خصوم من

---

(1) سورة يوسف: الآية:81.
(2) سورة الرحمن: الآية 1-4.
(3) علي عشري زايد: البلاغة العربية(تاريخها ومصادرها، مناهجها)، نقلا عن ابن عمر الزمخشري: الكاشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيوب الأقاويل، المكتبة التجارية، مصر، 1954م.

جهة أخرى، أما بالنسبة للنشأة؛ راح لمعتزلة يهتمون بتدريبهم وتلقينهم تقنيات الإقناع واستعمال الحجج (*)، للظفر بالمناظرات وكيفية الإقحام الخصم وكيف يحسنون البيان ويصوغون كلاما يستولي على قلوب السامعين وقلوبهم.

ونكتشف أمام هذه العتبة؛ أن البليغ المتكلم، وهو بصدد بناء خطابه ينحو منحا حجاجيا يضمن له الوصول إلى ما يسطر عليه من أهداف مسبقة.

فقد تحدث (الجاحظ) في مؤلفه البيان والتبيين أن بشرا ألقى بصحيفته إلى مجموعة من الفتيان المعتزلة وهم يتعلمون فيه أصول الخطابة، حيث دعاهم إلى ضرورة إقامة الوئام (التناسب/المطابقة) بين الكلام والمقام المتحدث فيه، حيث أكد على أن" ما دار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام ومقال".[1]

كما تحدث (بشر بن المعتمر) عن المعنى، ولكن في إطار آخر يوحي من خلاله الخطيب (المتكلم /البليغ) إلى انتقاء واستعمال الكلمات وعبارات الجمل مناسبة لأحوال المقامات حيث يقول:" وينبغي المتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل من كل طبقة ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات".[2]

يعد الحاجظ من أكبر معتزلي الدرس البلاغي، فلقد أطال الحديث فيما أثاره (بشر بن المعتمر) في كتابه البيان والتبيين من خلال ضرورة ملائمة الكلام للسامع ولطبقات السامعين وحديث عن الرشاقة ورصانة وجزالة وعذوبة اللفظ، وأطال الكلام عن الإيجاز والإطناب وبين الأغراض (المقاصد) ومقامات المتلقين.

استحق الجاحظ لقب المؤسس لأنه تمكن بمنهجية عقلانية ناضجة من تمثل أراء السابقين من شعراء، من خلال تجريد هذه المنزلة وصهرها ضمن نظرية متماسكة هي نظرية

(*) وبناءا على هذا القول يمكن القول؛ أن ثمة عناية فائقة من طرف البلاغيين المتكلمين على قضية استخدام الحجج في إطار ما عرف في المذهب الكلامي الذي يقول عنه القزوني.

(1) الحاجظ: البيان والتبيين، ج1، ص:163.

(2) المصدر نفسه: ص: 138-139.

المقامات التي تمثل مسلكا عاما من أبرز مسالك إلى اكتشاف خصائص نظريته الأدبية والجمالية بشكل عام، ولعل القرآن الكريم هو المصدر الأصيل الذي اغترف منه الجاحظ هذه الفكرة، فقد أورد الجاحظ هذه الفكرة، وقد أورد الحاجظ في عدة مواضع في مؤلفه البيان والتبيين، إشارات كثيرة تشيد بكلام الله- سبحانه وتعالى- باعتباره أبين كلام الله هو الذي مدح التبيين وأهل التفصيل"، فالقرآن يبين المعنى ويفصل المجمل " وأنزل عليه قرآن عربيا، كما قال الله تعالى" **بلسان عربي مبين**".[1]

من بين الإشارات الدلة على تأثر الجاحظ بالقرآن الكريم وجعله مصدرا لولادة فكره، خاصة في نظرية المقامات، تلك العبارات المتناثرة في طيات مؤلفه البيان والتبيين، وهو يتحدث عن شروط التي ينبغي توافرها لتحقيق فصاحة الكلام.

وفي مؤلفه (الحيوان) يقول" ورأينا الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام، فأصوب العمل اتباع آثار العلماء والاحتداء على مثال القدماء والأخذ بما عليه الجماعة"[2]، وبالتالي فإن الإبانة مرتبطة ارتباطا شديدا بمقتضيات المقام، بحكم أن تغيير المخاطبين يؤدي إلى تغيير شكل الخطاب وخصوصياته، فمعاني القرآن الكريم تدرك وتفهم من طرف العرب والأعراب لمحاً، لأن كلام الله نزل بلغتهم الأصلية وأساليبهم الخاصة في الكلام (وإن كان القرآن الكريم لا يضاهي ولا يقارن ولا يشبه بكلام البشر)، أما بني إسرائيل، لا يمكنهم فهم ولا استعاب معانيه وألفاظه إلا عن طريق الإطناب المبسوط وعدم اللجوء إلى آليات فنية بلاغية من شأنها خلق نوع من اللبس كالحذف والإشارة...

إن قضية الإفهام عند الجاحظ ترتكز على معايير من الحيز الاستثماري لمقولة " لكل مقام مقال"، فكل إطار تواصلي معين خليق بأن يرمى بتأثيرات على مسألة استراتجية تداولية معينة انتقائية للكلمات والعبارات يتم من خلالها نوع من المرونة والتناسب مع الظروف

(1) سورة الشعراء: الآية:195.
(2) الحيوان: تر، عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الأسلامي،ط3،بيروت 1963م، ج1،ص:94.

الحضارية والثقافية والطبقية والموضوع المتحدث فيه، بإضافة إلى اعتبارت المتلقي واهتماماته التي لابد من استصحابها في عملية إنتاج الكلام البليغ.

ومن هذا المنطلق جاز القول أن مقولة "لكل مقام مقال" أو " أو مطابقة مقتضى الحال" هي من جوامع الكلم التي وقعوا عليها، والتي تصدق على دراسة والمطابقة المعنى لا في العربية الفصحى فحسب بل في كل اللغات"،[1]على أساس أن المتكلم مهما كان جنسه وتوجهه، ومهما كانت لغته مضطر إلى إحداث نوع من التوافق بينه وبين متلقيه المربوط بدوره بعدة حيثيات وظروف من خلال خلق يطابق بين كلامه في بعده الاستراتجي التداولي والمقام المحاصر للعملية التخاطبية من كل الزوايا والروافد، كما أنه يجد نفسه مجبرا على على الإلمام الشامل والإحاطة بكل الحيثيات والجزئيات المشكلة للمقام، سعيا منه إلى الوصول إلى تحقيق تأويل حقيقي مناسب لما قيل.

وعليه "فإن عملية تحليل الوضائف اللغوية وفق مستويات الصرفية والصوتية والنحوية والمعجمية ليست خليقة – وحدها- للوصول إلى المعنى المراد (القصدية)، بل تُلزم على المحلل/ المتلقي الوقوف على كل صغيرة وكبيرة تمت بصلة وثيقة بالعنصر الاجتماعي المحيط بالعملية التواصلية برمتها والمتمثل في المقام"،[2] فتعامل مع الكلام من جهة كونه منعزل عن سياقه الخاص، يعد نوعا من العبث الذي من شأنه أن يعيق العملية التواصلية.

ومن خلال ما سبق يمكن الجزم أن المقام يحتل مرتبة رصينة وموضعا مهما في الفكر البلاغي العربي، فنجده قد تناول قد تناول المقام من زاوية التخاطب، حيث ربط بين المتكلم والسامع من ناحية انتقال المعنى بينهما، وتحقيق العملية التواصلية (التبليغية)، فيرى أنه لتبليغ الرسالة إلى ذهن السامع لابد للمتكلم أن يراعي أحوال المستمعين، ويلفت النظر إلى أن لكل مقام مقال، كما أنه حصر عناصر التخاطب في ما يلي:

(1) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها،ص:372.
(2) محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، دراسة وصفية، منشورات جامعة الفاتح- ليبيا- ص118.

1 ـ المتكلم: الذي يجب أن يكون له دراية كاملة بما يقول، مع مراعاة المقام الذي يتكلم فيه.

2 ـ المُخاطب: هو طرف الثاني في العملية التخاطبية، وهو أساسي فيها في المقام أو الحال أو الموضع، وله دور كبير في تكييف الكلام الذي يقدمه المتكلم.

3 ـ جنس الكلام: هو الأسلوب المناسب للكلام حسب ما يقتضيه المقام، فلا يتكلم شعرا إذ لم يقتضي ذلك أن يتكلم شعرا.

4 ـ القصد: وهو عدم التمييز أصناف الدلالات على المعاني، وما تنتهجه تلك الأساليب للوصول إلى غاية المتكلم، يقول الجاحظ "وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال، التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الحالات، ولكل واحدة من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير"،[1] فالجاحظ يبرز أهمية الفهم والإفهام، فالمتكلم سواء كان مجيبا أو سائلا أو واصفا، عليه أن يستعمل لغة المتكلمين.

ويشير الجاحظ إلى ضرورة ملائمة بين السياق اللغوي ومتطلبات المقام التي من بينها أحوال المستمعين، وذلك من خلال ظاهرة التكرار من خلال الاستعمال لدى المتكلم " وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حد ينتهي إليه، ولا تُؤتى على وصفه، وإنما ذلك قدر المستمعين ومن يحضره من العوام والخواص، وقد رأينا الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى وهود وهارون وثمود وشعيب وإبراهيم ولوط وعاد وثمود، وكذلك ذكر النار والجنة وأمور كثيرة لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم وأكثرهم غبي غافل أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب"،[2]فهو هنا يحدد المواضع التي تتناسب فيما يسمى بالترادد، ومقصود به أسلوب التكرار كقيمة بلاغية.

---

[1] الجاحظ: البيان والتبيين ج1: ص:76.
[2] المصدر نفسه: ج1، ص:105.

ومراعاة لأحوال المتلقي، وهنا يبرز الجاحظ أهمية التكرار –وإن كان في بعض المواقف- إلا أنه ليس دائما مطلوب، وذلك في قوله " وجعل ابن السماك يوما يتكلم، وجارية له حيث تسمع كلامه، فلما انصرف إليها قال لها: كيف سمعتي كلامي؟ قالت: ما أحسنه لو لم تكثر ترداده، قال أردده حتى يفهمه من لا يفهمه، قالت إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد ملَّه من فهمه".[1]

ثم تطرق الحاجظ إلى صفات المتكلم، وهي جزء من السياق المقامي في قوله:" تلخيص المعاني رفق، والاستعانة بغريب عجز، والتشادق من غير أهل البادية بغض، والنظر في عيون الناس عي، ومس اللحية هلك، والخروج مما ينبغي عليه أول الكلام إسهاب"، [2]فالمتكلم يخير الألفاظ البسيطة مع الابتعاد قدر الإمكان من الألفاظ الغير مألوفة، متحليا بسمات كعدم المس باللحية، فغايته هو تبليغ المستمع رسالة معينة مع محاولة الإقناع بفحواها، كما ينبغي على الخطيب أن يكون كلامه منسجما حتى لا يخرج عن فحوى الرسالة.

حاول الجاحظ تشريع عملية التخاطب و التبليغ، بمفهوم البلاغة والبيان والخطاب ماهو إلا صورة واضحة لعملية التخاطب التي تستدعي عناصر المقام، وصفوة القول أن المقام يتحدد في ما يعرف "مراعاة نقتضى الحال" (المتكلم والمتلقي) دليل على دراسته للكلام في شكله العام وليس فقط الخطب والشعر.

المبحث الثالث: الأبعاد المقامية عند المتكلمين.

1-1 قدامة ابن جعفر (377هـ):

تأثر (قدامى بي جعفر) ببلاغة الفلاسفة (أرسطو) وذلك من خلال مألفه "نقد الشعر" الذي يحتوي على أربعة أبواب تتمثل في: الباب الأول خصصه للمدح، وباب آخر للهجاء، وباب ثالث للحكمة، وباب رابع للهو، الذي تحدث فيهم عن آليات البلاغة من كناية وإستعارة وتشبيه..

(1) المصدر نفسه: ص: 104.
(2) المصدر نفسه: ص: 44.

تطرق قدامة بن جعفر إلى الكناية في مؤلفه وعرفها على أنها:" أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني، فلا تأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدل على المعنى وهو ردفه وتابع له".[1]

كما تطرق قدامة بن جعفرفي مؤلفه السابق إلى ما يعرف بـ " اللَّمحة الدالة" التي تخدم بصورة فعَّالة الاستراتجية التداولية للخطاب المكونة من أفعال اللغوية، وعن دورها في العملية التخاطبية من خلال إيجاد المُخاطب لمعنى حقيقي بين طيات المعنى المجازي في الكناية من أجل إعطاء القيمة الإقناعية للمتلقي.

فالبعد التداولي الذي تنطوي عليه الكناية، وهي تستعمل المعاني المجازية خلال عملية التبليغ تتماثل مع خصوصيات التي بنى عليها (سيرل) نظرية الأفعال الكلامية، والذي يكون أكثر أحقية باستعمالها في بعض المواقف على حساب الكلام المباشر، كما هو الشأن في تنظيرات (جرايس)و (روبين لاكوف) اللذان تطرقا إلى االعوامل المأثرة على عناصر المقام الأساسية التي تساهم في إنجاح تواصل وتفاعل سليم بين طرفي العملية الإبلاغية.

ونجد (قدامة بن جعفر) في مؤلف الآخر عنونه بـ "نقد النثر" قد تبنى مقولة "لكل مقام مقال"، مبرزا أهميتها في العملية التواصلية وبضرورة الإنصياع والتقيد بها لما تكتنفه من تخرجات فنية لتحقيق الإفهام، مع مراعاة أحوال المستمعين ومستوياتهم، فلابد للمتكلم من انتقاء ألفاظ خاصة بأهل المتلقين، إذ إن المتكلمين أوضاعا وألفاظا " ليست في كلام غيرهم مثل: الكيفية والكمية، والمائية، والكمون، والتولد، والجزء والطرفة، وأشباه ذلك فمَّى كلَّم به غيرهم كلم المتكلم مخطئا ومن الصواب بعيدا، ومتى خرج عنها في خطابهم كان في الصناعة مقصَّراً"؛[2]ويقصد هنا أن لكل صناعة ألفاظ خاصة بها من معجم فكري معين خاص بالتواصل (التبليغ).

(1) قدامة بن جعفر: نقد الشعر: تح عبد المنعم خَفاجي، دار الكتب العلمية – بيروت- (د ت)، ص:107.
(2) المرجع السابق: ص:134.

ولا شك في القول أن (قدامة بن جعفر) يقر بدور الفعال للمقام في الخطاب وإبراز مميزاته، فنجده يراعي موضوع الكلام (البليغ) من جهة، ومن جهة أخرى المتلقي و المقاصد وغاياتهم.

وهنا لابد من إقرار حقيقة مفادها أن الخطاب البلاغي الراقي المتسم بالقبول، هو ملائمة بين الخطاب والمقام العام الذي يصاحب الكلام، من منطلق أن الخطيب لا تكون: موصوفا بالبلاغة ولا منعوتا بالبلاغة والخطابة إلا بوضع هذه الأشياء في موضعها، وأن يكون على الإيجاز إذا شرع فيه قدرا، بالإضافة إذا احتاج إليها ماهرا"؛ [1]بمعنى أن مواضع الإيجاز والإطناب تخضع لكفاءة البليغ التبليغية ويقول في هذا الصدد" ...أن يكون الخطيب المتَّرسل عارفا بمواقع القول وأوقاته واحتمال المتخاطبين له، فلا يستعمل الإيجاز في موضع الإطالة فيقصر على بلوغ الإرادة، وألاَّ يستعمل الإطالة في موضع الإيجاز، فيتحاور مقدار الحاجة، إلى الإضجار والملالة".[2]

هنا في مسألة الإيجار والإطناب تجعل المتلقي والمُخاطب في حيرة، فالأول سوف يخفق عن إيصال فحوى رسالته (مقصده)، وذلك من خلال إخفاقه عن قبض القصد الحقيقي من وراء إيراد الأفعال الكلامية من قبل المرسل، أما الآخر فيفقد تركيزه ويمل، وبالتالي تُفشل عملية التبيلغ.

ومن هنا يمكن حصر تنظيرات قدامة لمقولة " لكل مقام مقال" أن هناك أبعاد تداولية تبانها الدرس اللغوي المعاصر وهو يتعامل مع اللغة في جانبين:

الجانب الأول: اعتماد مسائل خارجة عن النسق اللغوي في العملية التواصلية في التعامل مع الخطابات، وذلك من خلال رصد المعاني وفحص بعض العناصر الخاصة بالموقف التواصلي، على أساس أن موقف التواصل بالنسبة للدرس التداولي تتكون من مجموعة معقدة ومتداخلة تتركب من مجموعة الظروف المادية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تحدد عملية إنتاج الرسالة اللغوية ومدى استعابها من طرف المتلقي.

(1) قدامة بن جعفر: نقد النثر، تحقيق: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (دت)، ص: 86.
(2) المرجع السابق: ص: 96.

الجانب الثاني: التحكم السليم بمواضع الإيجاز والإطناب، وهنا يمكن أن نلتمس من كلام (قدامة بن جعفر) المتعلق بالمقام والمقال، ومدى مراعاة أحوال السامعين ومستوياتهم النفسية، وبهذا ارتقى بفكره من خلال انتقاء استراتجية مناسبة للمقام.[1]

2-1 الرماني أبو الحسن علي بن عيسى (384هـ):

عرض الرَّماني في مؤلفه الأول" النكت في الإعجاز القرآني" حيث عرض فيه مسائل ترتبط بالبلاغة وماهيتها، وتعرض إلى أقسامها العشر وهي: الإيجاز، والتشبيه والإستعارة والتلاؤم، والفواصل والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان. وهنا برزت جهود المتكلمين في وضع مباحث ومقاربات لغوية تتعلق بالإعجاز في القرآن الكريم.

فالبلاغة عنده هي: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ، وهنا يبرز الفحص المنهجي لهذا المفهوم، الذي يصب في عمق الدرس التداولي المعاصر في جانبين وهما:

1ـ استفاء شروط البلاغة وقد حددهما في نقطتين:

أـ الجانب التبليغي: وهو حضور أطراف العملية التواصلية، والسياق المصاحب للحدث، والمحاولات التي يقوم بها المرسل لتحويل فحوى فكره إلى المتلقي، وهو ما يبرز في قوله: هو إيصال المعنى إلى القلب.

ب- الجانب الاستراتجي: هو انتقاء الألفاظ السهلة التي تتلائم مع العملية التواصلية (حيثيات التلفظ)، مع التركيز والتعويل على الأفعال الكلامية التي تتناسب مع قصدية الكلام التي تليق بمستوى تلك الحمولة المعنوية ولا تخل بها.

(1) ينظر: أحمد واضح: الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من الفرن الثالث هجري ألى القرن السابع هجري، أطروحة دكتوراه، بإشراف: د لزعر مخطار، جامعة وهران، 2011-2012م، ص:189.

وهذا ما يؤكده في قوله : في أحسن صورة من اللفظ.[1]

2- قوله: "إيصال المعنى إلى القلب": وهو التأثير الذي ينشده المتكلم خلال عملية التواصل، مما يترتب عليه تغيير قناعات وقلب الواقع، ويظهر ذلك في استخدام الرماني في تعريفه للبلاغة لفظ (القلب) بدل (العقل)أي؛ أن القلب هو المحرك الأساسي في إرسال الكلمات والخطابات إلى العقل، مما ينتج عن عملية تأثيرية تملي بدورها على المتلقين أبعاد مقامية كالإقناع ..ما يمتً ذلك بدائرة الحجاج أو الفعل الإنجازي الناجح والمؤثر.

ونظر الرماني إلى الإستعارة نظرة خاصة فقد عرفهاعلى أنها: "تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة، على جهة النقل للإبانة"، [2]واعتبرها أبلغ من الحقيقة، فركز معايناته الفكرية إلى إثبات تصور هذا المقتضى في مؤلفه" النكت في إعجاز القرآن" مستعينا بالذكر الحكيم، والاستعارة تظهر عنده حين يقول المتكلم شيء وهو يقصد شيئا مختلفا عن المعنى المستسقى من الجملة، وفي هذا الشأن لا يمكن الوصول إلى المعنى (غير الحرفي) إلا بتعويل عن ملابسات المقام وحيثياته.

يتبين من خلال ما ذكرناه سابقا، دور الفعال التي تلعبه الاستعارة عند الرماني في تغذية الخطاب البليغ من خلال أبعاده المقامية (التداولية)، فهي تأخذ على عاتقها السَّير بمكونات التلفظ، وتطعيم الخطاب بآليات فنية وإجرائية التي تحدث خلال العملية التواصلية، وهذا يكون بعلم المتلقي بهذه الأحداث، خاصة الغامضة والمتلبسة التي تميز الاستعمال المباشر المصاحبة لكنف عملية التلفظ.

المبحث الرابع: الأبعاد المقامية عند عبد القاهر الجرجاني(417هـ).

ركز عبد القاهر الجرجاني اهتمامه بالمقام في أكثر من موضع على أهمية المقام، وتأثير عناصره على النص (المقال) دلاليا وتركيبا، وهذا في مؤلفه الشهير"دلائل الإعجاز" الذي أثبت فيه مراعاة النسب النحوية واستعمالها الدقيق والأنسب؛ شرط جوهري لا مناص منه

(1) الرماني أبوالحسن علي بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاثة وسائل في إعجاز القرآن، تر محمد خلف الله ومحمد زعلول سلام، دار المعرفة ط3 (دت) ص:75.
(2) المصدر السابق:ص:85.

في عملية إنتاج الكلام، وهو ما عرف عند بما يسمى "النظم" حيث يقول:" أعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله.."، [1]ويقوم هذا النظم على نوعين من العلاقات:

- العلاقات التركيبة التي تعلق فيها الكلم بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وفق ما يقتضيه علم النحو.

- العلاقات الدلالية التي تنشأ في التراكيب وتترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس.

اهتم الجرجاني في مؤلفه "دلائل الإعجاز" بدلالة النظم (السياق)، خاصة السياق التلفظي وأهميته في تحديد الكلمة، وعن أحكام النظم واستعمال وسائله في الدلالة على المعاني، لأن اللفظ ـ حسب الجرجاني- يكتسب معناه من التركيب ويقول في هذا الصدد: "إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف بها معانيها في أنفسها، ولاكن لا يضم بعضها إلى بعض، فيعرف فيما بينها فوائد"، [2]وهذا لايعني رصف الكلمات ببعضها بعض كيفما اتفق، بل يحصل بمراعاة أحكام النحو؛ ليس النظم إلا وضع الكلمات في الوضع الذي يقتضيه النحو وفق أصول وقوانين.

ومن الأفكار التي أصر عليها الجرجاني عنايته بـ "المقال" أو السياق اللغوي" أو "النص"، وعلاقة البلاغة والفصاحة بالسياق اللغوي والتركيب، فهما ليستا من صفات الكلم المفرد، وإنما من صفات الكلام بعد النظم إذ يقول" فإنَا نرى اللفظة في غاية الفصاحة في موضع، ونراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع وليس فيها من الفصاحة القليل ولا الكثير، وإنما كان ذلك لأن المزية التي من أجلها نصف اللفظ في شأننا هذا بأنه فصيح المزية تحدث من بعد أن لا تكون، وتظهر في الكلم من بعد أن يدخلها النظم، وهذا الشيء إن أنت طلبته فيها، وقد جيئت بها أفرادا لم ترم فيها نظما، ولم تحدث لها تأليفا، طلبت محالا .... وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي قيه، ولكننا نوجب لها

(1) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، شرح و تعليق محمد الثبجي، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت 2005م، ص:69-70.
(2) المصدر السابق: ص:539.

موصولة يغيرها، ومعلقا معناها بمعنى يليها. فإذا قلنا في لفظة "اشتعل" من قوله تعالى:" **واشتَّعل الرَّأس شيبا"** [1]،إنها في أعلى مرتبة من الفصاحة، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولا بها الرأس معرفا بالألف واللام مقرونا إليها الشيب منكرا منصوبا".[2]

اعتمد الجرجاني على السياق المقامي خلال دراسته الأسلوبية، وبيان أثرها في بيان المعنى وتحليله بقوله:"....وإذا نظرت إليها (بقصد الكناية) وجدت حقيقتها ومحصولها وأمرها أنها إثبات المعنى. ألا ترى أنك نظرت إلى قولهم: (هو كثير الرماد)، وعرفت منهم أنهم أرادوا أنه كثير القرى والضيافة لم تعرف ذلك من اللفظ، ولكنك عرفته بأن رجعت إلى نفسك فقلت: أنه كلام قد جاء عندهم في المدح، ولا معنى للمدح بكثرة الرماد. فليس إلا أنهم أرادوا أن يدلوا بكثرة الرماد على أنه تنصب له القدور الكثيرة ويطبخ فيها للقرى والضيافة؛ وذلك لأنه إذا كثر الطبخ في القدور كثر إحراق الحطب تحتها، وإذا كثر إحراق الحطب كثر الرماد لا محالة، وهكذا السبيل في كل ما كان كناية..".[3]

ففي قوله هذا يبرز السياق التداولي القائم على الاستدلال الذي وجه في البليغ(المتلقي) إلى العدول عن المعنى المباشر؛ فلا يوجد لكلمة (كثرة الرماد) أي معنى في سياق المدح، فالمتلقي يستنبط المعنى الثاني الذي هو الكرم المتفق مع سياق المدح.

وهذا السياق منبثق من نظرية النظم، فهو اهتم بشقي السياق في دراسة التركيب من خلال الحذف أو اسقاط مذكور وذلك في قوله "ومما يجب ظبطه هنا أيضا: أن الكلام إذا امتنع حمله على ظاهره حتى يدعو إلى تقدير حذف، أو إسقاط مذكور كان على وجهين: أحدهما أن يكون امتناع تركه على ظاهره لأمر يرجع إلى عرض المتكلم، .....الوجه ثاني:

---

(1) سورة مريم: الآية04.
(2) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز:ص:401-402.
(3) المصدر نفسه:ص: 431.

أن يكون امتناع تركه على ظاهره، ولزوم الحكم بحذف أو زيادة من أجل الكلام نفسه، لا من حيث الغرض المتكلم به، وذلك مثل أن يكون المحذوف أحد جزئي الجملة".[1]

يربط الجرجاني جميع القرائن النحوية (مطابقة، تضام) وكل الظروف المتعلقة بحال المتكلمين وموضوع الكلام والمخاطبين، وما يتصل بمشاعرهم، مع مراعاة سياق اللغوي وسياق المقام.

ورد أيضا في ملفه" دلائل الإعجاز" مجموعة من التوصيات والشروط التي تضمن نجاح العملية التواصلية والتي من بينها معرفة خصوصية اللغة التي يتم التواصل بها، فكل فريق أو جماعة لسانية لها لغتها الخاصة بها، تعتمد عليها للتواصل فيما بينهم، ومعرف المرسل بالعادات الكلامية التي اختصت بها تلك الجماعة، وذلك من أن يتمكن المتلقي من إقامة تواصل ناجح ترتكز على ألفاظ متعارف عليها سابقا، فقد جعل الجرجاني "معرفة خصوصية اللغة" من من أولويات العملية التخاطبية الفعالة والناجحة.

فالجرجاني اعتبر المقام من الدعائم الأساسية في عملية التقديم والتأخير التي يمكن أن تشتمل عليها العبارات الكلامية، فقد جعله من الأسس التي بنى عليها منهجه من خلال ربط الكلام بمقام استعماله مراعيا مقتضى حاله، وهنا يظهر المستوى التداولي من خلال الاستعانة لآليات غير لسانية مثل: العناية والاهتمام والمقاصد وظروف وملابسات ويقول الجرجاني في هذا الموضع(التقديم والتأخير): "واعلم أنه لم نجدهم اعتمدُوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل، غير والعناية والاهتمام. قال صاحب الكتاب، وهو يذكر الفاعل والمفعول: كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهو أعنى، وإن كان جميعا يهمًاهم ويعانيهم". [2]وضرب أيضا مثلا عن النحويين:"...حال الخارجي تخرج فيعيث ويفسد، ويكثر به الأذى، إنهم يريدون قته ولا يبالون من كان القتل منه، ولا يعنيهم منه شيء. فإذا قتل، وأراد مريد الإخبار بذلك، فإنه يقدم ذكر خارجي فيقول: قتل الخارجي زيدٌ، ولا يقول قتل زيد الخارجي، لأنَّه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له، زيد، جدوى فائدة، فيعنيهم

(1) الجرجاني عبد القادر: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الفتحي عبد اللطيف، الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، القاهرة،ط1، 2010م، ص:349-350.
(2) عبد القادر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص:107.

ذكره ويهمهم ويتصل بمسرَّتهم ويعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له ومتطلعون إليه من يكون، وقوع القتل بالخارجي المفسد"، [1]ويضيف في موضع آخر " قد وقع في ظنون الناس أنه يكفي أن يُقال: إنه قدم للعناية، ولأن ذِكره أهم، من غير أن يُذكر، من أين كانت تلك العنايةُ؟ وبما كان أهمَّ....وكذلك صنعوا في سائر الأبواب، فجعلوا لا ينظرون في الحذف والتكرار والإظهار، والإظمارو الفصل و الوصل، ولا في نوع من أنواع الفروق والوجوه، إلا نظرَك فيما غيرُه أهم لك، بل فيما إن تعمله لم يضرك".[2]

من خلال طرح عبد القاهر جرجاني فيما توليناه سابقا نجده تطرق في مؤلفه "دلائل الإعجاز"إلى نظرية النظم و تعريفه للكناية وقضية اللفظ و التقديم والتأخير، وإدراكه العميق بأهمية المقام خاصة السياق اللغوي وغير اللغوي، ووعيه الناضج بصحة الاهتمام بصحة الكلام وصحة المعاني، والعناية وإثارة ذهن المخُاطب وربط الكلام بالمقال،ومدى اهتمامه بالمكون الدلالي التداولي، واختلاف التراكيب.

المبحث الخامس: الأبعاد المقامية عند السكاكي(626هـ).

تبلورت عند السكاكي مصطلحات وتعريفات خاصة بالمقام و ما جاوره، وهذا ما نجده في كتابه "مفتاح العلوم" فهذه المرحلة التي عُرفت بمرحلة الضبط والتعقيد، حيث ظهرت فيها مصطلحات جديدة في تصور مفهوم المقام، ومن ذلك المصطلحات ما يعرف بمقتضى الحال وقرائن الحال ومساق الكلام، متجاوزة دائرة الطبقية إلى إلى تفاصيل جزئيات المقام حيث يقول: لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشاكية، ومقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناءا على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكلّ

(1) المصدر السابق:ص:107-108.
(2) المصدر نفسه: ص:109.

لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى آخر.[1]

فكلام السكاكي هنا يبرز الوظائف المقصودة بالكلام والظروف التي تحيط بعناصره، والتي يجمعها في ما يسمى بالمقام التخاطبي، فنجده قد خصص مبحثا في مؤلفه "مفتاح العلوم" خصصها للمقولة "لكل مقام مقال" تناول فيه المقام الذي يمثل أهم محددات الرسالة اللغوية، فنجده يتحدث عن اختلاف مقامات الكلام ووظائفه تبعا لتلك محددات اللغوية، فلكل دلالة وجه من التراكيب التي تختص بها، وتحدث أيضا عن المستويات الثلاثة الخاصة بالتحليل في قوله: "المفرد، والتأليف، وكون المركب مطابقا لما يجب أن يتكلم له"،[2] فيقصد بالمستوى الأخير المستوى المقامي، ويُعرف علم المعني بقوله:" اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها في الخطأ في تطبيق الكلام وما يقتضي الحال ذكره" [3]؛وهنا نجده يعترف السكاكي بمسألة مطابقة الكلام لتمام المراد منه، وعن اختلاف دلالة خواص الكلام عن عن دلالة التراكيب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، السياق التي توظف فيه هذه الدلالات، وما يمكن الإشارة إليه أيضا في هذا القول المستوى المقامي؛ الذي تؤدي فيه العبارة فعلا غرضيا إنجازيا تأثيريا، وهو مطابقة الكلام المركب لما يجب أن يتكلم له.

يظهر جليا اهتمام السكاكي بالمقام، خاصة مقام القول و مدى مراعاته لتحقيق أغراض ومقاصد المتكلمين، فهو تمكن من خلق تلاؤم بين الكلام والمقال، فهو قد جرى مجرى البلاغيين السابقين أمثال (الجاحظ والجرجاني) وأكد على ضرورة مراعاة المتكلم لمقام التكلم، أو مطابقة الكلام لتمام المراد منه.

وبهذا يعتبر(السكاكسي) من البلاغيين الذين أطروا الصيغة النهائية لأقسام البلاغة من علم المعاني والبيان والبديع التي ارتقت بالكلام إلى الحسن والقبول، فهوأشار السكاكي إل نوعين من السياق:

---

(1) أبي يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم،ص:95.
(2) المصدر السابق،ص:286.
(3) المصدر نفسه، ص: 247-248.

1ـ السياق المقامي: وهو المتعلق بمقامات الكلام.

2ـ السياق اللغوي: وهو ما الذي يرتبط بتنظيم وحدات الكلام (النص)، وهو الذي يجسد مقولته" فلكل كَلمة مع صاحبتها مقام".

فهذه المقولة التي ارتقت بالكلام إلى الحسن والقبول، وهذا الارتقاء تمركز حول العناية بالمقام والاهتمام بمقاصد وأغراض المتكلم (البليغ)، فالمقام وحده ـ حسب السكاكي- وحده من يملي على المنتج البليغ (ذو الحسن) قيودا واملاءات التي تأخذ الكلام نحو استراتجية تتناسب مع جو العملية التواصلية للخطاب بكل صوره وأشكاله.[1]

وتطرق أيضا في كتابه إلى تفضيل القول في الإنشاء، وقسمه إلى نوعين؛ إنشائي طلبي ومن أساليبه: التمني، الاستفهام، الأمر...

ونوع آخر إنشائي غير طلبي ومن أساليبه: المدح والذم، فهو بهذا التقسيم يتقاطع وينسجم مع ما ذهب غليه (سورل) وهو بصدد تصنيف أفعال الكلامية التي حصرها هو الآخر في خمسة أصناف من بينها الأوامر التي تحصل الكلام من خلالها على شيء من المتلقي مثل : الطلب والأمر.[2]

و فيما يخص علم المعاني، تقدم السكاكي في الحديث عن الحال وما يقتضيه، فقد جعل له مفهوما واسعا يشمل كل تلك الظروف المحيطة بتكوين الخطاب (النص) وبنائه، ومن كلامه هذا نجده أنه أخذ من فكرة المقام أبعاد واسعة يمكن تصنيفها على النحو التالي:

1 ـ مقامات الكلام بحسب المقاصد والأغراض كالتشكر..

2 ـ مقامات الكلام بحسب المُخاطب: من كونه علما أو جاهلا..

3 ـ مقامات الكلام بحسب السياق: وهو ملائمة الكلمة لأختها وبينها وبين المعنى المراد أي؛ كل كلمة مع صاحبتها مقام.

---

(1) ينظر: أبي يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص:94.
(2) ينظر: أحمد واضح الموروث البلاغي، ص227.

4 ـ مقامات الكلام بحسب الموقف: المواقف المصاحبة للعملية التخاطبية، وهنا نقصد الإيجاز والإطناب.

تردد مقولة "مراعاة الحال لمقتضى الحال" عند السكاكي فهي ـ حسبه- ليس كل ما يربط في النص بين المتكلم وبين المخاطب فحسب بل تتجاوز ذلك ليصبح أربعة وهي:

حال المتكلم، حال السامع، والبناء الداخلي (صياغة اللغوية)، المقام الخارجي.

ويؤكد ذلك في قوله:" أما الحال التي تقتضي طي ذكر المسند إليه فهي: إذا كان السامع مستحضرا له، عارفا منك القصد إليه عند ذكر المسند، والترك راجع إما لضيق المقام (المقام الخارجي) وإما للاحتراز عن العبث بناء الظاهر (البناء الداخلي)، وإما لتخييل أن في تركه تعويلا على شهادة العقل، وفي ذكره تعويلا على شهادة اللَّفظ من حيث الظاهر، وكم بين الشهادتين،(حال السامع)، وإما لإبهام أن في تركه تطهيرا للسان عنه، أو تطهيرا له على لسانك، وأنما للقصد إلى عدم التصريح لتكون لك السبيل إلى الإنكار إلى مست إليه الحاجة (حال المتكلم)"؛ تجاوز السكاكي من خلال قوه السابق "مراعاة الحال" في الإنتاج الأدبي وأكد على مراعاته في الجوانب التداولية للخطاب (النص)، فالمتكلم يجوز له الحذف ويشدد على التزود بهذه الأحوال لكي تجد الاستحسان والقبول من طرف السامع.

مطابقة الكلام لمقتضى الحال من وجهة نظر السكاكي تشمل مطابقة حال المُخاطب وحال المعنى، وحال المعنى والموقف أيضا، المصاحبة لعملية الكلام لأنها تجمع عناصر الخطاب؛ المتكلم والمخاطبن والسياق.

وهناك نقطة لا بد من استدراكها وهي أن السكاكي أخد فكرة المقام من سابقيه أمثال (الجاحظ)، وعاد بمصطلحات جديدة للمقام، كقرائن الأحوال، مقتضى الحال، فلب البلاغة عنده هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأكد على أهمية المقام في الرسالة اللغوية.

سار منهج السكاكي في مسألة الأخذ بفكرة مقتضى الحال (الخطيب القزوني)، وذلك في كتابه "الإيضاح"، فقد تأثر هذا الأخير بمقولة "لكل مقام مقال" و"مراعاة مقتضى الحال" في

تعريفه للبلاغة العربية على أنها:" وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته".[1]

فعلم المعاني –حسبه- متعلق بدراسة طرائق الكلام أو الأسلوب، وهو ما يطابق مقتضى الحال، فقد عريف علم المعاني بأنه:"علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"، [2]فهو يشدد على الوضوح في توصياته بعمليات خلق الكلام والتلفظ به.

و فيما يخص علما البيان والبديع فقد ربطهما بكنه العملية التواصلية، للاعتبارات التأثيرية لنفوس المتلقين، فالبديع عنده:"هو علم يعرف بوجوده تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقية على مقتضى الحال"؛ يبين هنا أن التعبير البديعي لا ينفصل ولا ينفك عن حالات المتلقين وأوضاعهم الحضارية والثقافية التي تخص مستواهم.

(1) الخطيب القزويني: الإضاع في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديعن ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب القبلية، ط1،بيروت لبنان 2003، ص:20.
(2) المصدر نفسه، ص:163.

الفصل الثالث:

تمظهرات المعطى السياقي في لسانيات الخطاب

المبحث الأول: في ماهية النص والخطاب.

أولا: تعريف النص(لغة واصطلاحا).

أ – النص في اللغة.

تعدد المعاني المعجمية لمادة (ن، ص، ص) بتعدد السياقات: فقد استخدمت لفظة النص في العلم الحديث بمعنى الإسناد والتوقيف والتعيين، وذلك حسب ما جاء في قول (ابن منظور) في مؤلفه لسان العرب "النَّصُ رفعُك الشيء نصَّ الحديث ينُصُه نصًا رفعه وكل ما أُظهِر فقد نُصَّ وقال عمرو بن دينار ما رأيت رجلا أنصَ للحديث من الزُهري أي أرفع له وأسند يقال نَص الحديث إلى فلان أي رفعه"،[1] وهنا النص يدل على الإظهار والرفع، ولن نبتعد كثيرا عن معنى الإظهار والثبات لنستشف معنى الإحكام وعدم التفكك في قوله: "النصُ الأمر شدتُه"،[2]وفي موضع آخر يدل على الاستقصاء والإحكام في قول هذا الأخير" قول أبي عبيد: النصُ التحريكُ حتَّى تستخرج من الناقة أقصى سيْرها".[3]

ووردت لفظة النص في معجم الوسيط بمعنى المبين المعيَن. النصُ صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلَف (مو)، وما يحتمل إلا معنى واحد أو لا يحتمل التأويل".[4]

ب- النص في الإصطلاح.

ركز الليسانيون على جوانب النص، فقد انتقلوا من العرف العام و هو الذي تستعمل فيه اللغة بحسبهم إلى العرف الخاص؛ فمنهم من ركز على الوظيفة التواصلية ومنهم وحدة الموضوع والروابط النصية ومنهم على الوحدة الموضوعية وحجم النص، فالنص كما قلنا سابقا لا يحتمل إلا معنى واحد وقيل ما لا يحتمل التأويل وسوق الكلام لأجل المعنى، فأصل كلمة النص في المراجع العربية يعود إلى أصل فرنسي (texte) وهذا الأخير يعود إلى أصل اللاتيني (text) بمعنى النسيج ومنه تطلق كلمة (texture) على ما له علاقة

---

(1) ابن منظور: لسان العرب،ج8، ص:366.
(2) المصدر السابق: ج6، ص:196.
(3) مصدر نفسه:ج6،ص:197.
(4) مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، (مادة نصص)، ص:926.

بالنسيج ومن ثم ترجمت الكلمة (texte) إلى العربية بما يعرف بالنص و الوظائف التي يؤديها؛ أي الوسائل داخلية وهي الوسائل اللغوية و أخرى خارجية وهي السياقية، فالنص وحدة أساسية و موضوع رئيسي في تحليل ووصف اللغوي، حيث نجد في الدراسات العربية الحديثة وذلك من خلال رؤية (الغذامي) بأنه" كلي في حركة مرحلية لأنه نص بنيوي، والبنية الشمولية/ ومتحولة/ و ذات تحكم ذاتي والنص يتحرك داخليا بحركة مفعمة بالحياة كي يكون بنية وجودية، ليكون له هوية تميزه، فإذا ما تميز فإنه يتحرك كاسراً لحواجز النصوص ليدخل مع سواها في سياق يسبح فيه كما تسبح الكواكب في مجراتها"، [1]ويرى (عبد السلام المسدي) أن " النص تركيب وأداء وتقبُل ذلك أن للمتلقي مع النص حالات متطورة وللنص شأن عند مباشرته للمرة الأولى، ثم يكون له شأن آخر عند معاودته، وشأن ثالث عند إختزاله، ورابع عند الحديث عنه، وكل مرة كأنما صار نصا جديدا"،[2] وينظر (نصر حامد أبو زيد) إلى النص ويقول في ذلك " النص هو الواضح وخوحا بحيث لا يحتمل إلا معنى واحد، ويقابل النص المجمل الذي يتساوى فيه المعنيان يصعب ترجيح أحدهما، ويكون الظاهر أقرب إلى النص من حيث أن المعنى الراجح فيه هو المعنى القريب."[3]

ويتناول (محمد مفتاح) النص من حيث خصائص الليسانية التي تتمثل في الإتساق و الانسجام؛ أي العلاقة المعنوية بين الجمل المتتالية من الأفعال الكلامية، ونظر (محمد الخطابي) إلى النص من منظورين: "الأول منظور اللسانيات العامة والثاني منظور لسانيات الخطاب حيث يوصف في هذا الإطار بالنصية من جهة ومن جهة أخرى بالاتساق والانسجام والبيانات الكلية باعتبارها تجسيدا للصعيد الدلالي من الخطاب، ويبقى الصعيد التداولي متضمنا للسياق والأفعال الكلامية وتداوليات الخطاب وأفعال الكلامية الكلية."[4]

أما في الدراسات الغربية فاختلفت كل الاختلاف مع الباحثين العرب، فقد تباينت تعاريف النص عند الغرب، فقد أشار (رولان بارث) للنص أنه جسم مدرك بالحاسة البصرية

(1) عبد الله الغذامي: الخطيئة و التفكير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية ،ط1، 1985م، ص: 90.
(2) عبد السلام مسدي: قضية بنيوية، دراسة ونماذج، دار الجنوب لنشر 1995م ص: 51.
(3) نصر أبو حامد: مفهوم النص (دراسة في النص القرآني)، المركز الثقافي،ط3، بيروت، 2001م ص:180.
(4) محمد الخطابي: لسانيات النص- مدخل إلى إنسجام النص، مجمع الثقافي العربي، ط1، 1991م، ص: 13.

ونسيج كلمات منسقة في تأليف معين والكتابة صفته الاستمرارية، فالنص سلاح في وجه الزمان، والنسيان... فالنص عنده" نسيج كلمات منسقة" إذ؛ هو نسيج وحياكة الكلمة إلى الكلمة والجملة إلى الجملة، وهذا النسيج (الربط) يكون منسجما مترابطا.

أما (جوليا كريستفا) ترى أن النص"جهاز نقل غير لساني يقوم بتوزيع نظام اللغة بوساطة الربط بين الكلام المتواصل الهادف إلى الإخبار المباشر وبين أنماط مختلفة من الأقوال السابقة المتزامنة معها"؛ [1]فالنص إنتاج يحتل مكانة هامة، وهو فضاء ثري يختزن طاقات ومعارف كبيرة ومتنوعة. وتعتبره بأنه ليس نظام لغوي مغلق عكس ما تراه البنيوية الشكلية وإنما هو عدسة مقعرة ودلالات معقدة ومتغايرة، في إطار أنظمة مختلفة ثقافية، واجتماعية وسياسية والنص غير مكتمل والقراءة تكمله.

ويعرف (دي بوجراند)النص على أنه" تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال ويضاف إلى ذلك ضرورة صدور أي نص عن مشارك واحد ضمن حدود زمنية معينة وليس من الضروري أن يتألف النص من جمل، فقد يتكون النص من جمل أو كلمات مفردة، أو أية مجموعة لغوية تحقق أهداف الاتصال، ومن جهة أخرى فقد يكون بين بعض النصوص من الصلة ما يؤهله لأن تكون مقال"؛[2]فالنص كما يرى (دي بوجراند) له غاية اتصالية تتجسد وحدته الدلالية في جملة واحدة وفي أقل من جملة واحدة أحيانا، كما هو لحال في الدعايات والإشهار التي تكون غالبا مجرد حرف، وقد تكون كتابا كما هو الحال في الرواية والمسرح فالنص وحدة كلامية غرضه الاتصال.

[1] جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توفال للنشر، ط1، المغرب، 1991م، ص: 21.
[2] محمد الأخضر صبحي: مدخل إلى علم النص، مجالاته وتطبيقاته، دار العربية للعلوم، ط1، بيروت،2008م، ص: 91.

ثانيا:الخطاب (لغة واصطلاحا).

أ- الخطاب في اللغة:

دلت مادة (خطب) في لسان العرب لـ(ابن منظور): الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال والخطابة والمخاطبة: مراجعة الكلام وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا،وهما يتخاطبان الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب الكلام المنثور المسجع ونحوه والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر والمخاطبة مفاعلة من الخطاب و المشاورة"، [1]

فـ (ابن منظور) يعد الخطاب مرادفا للكلام العادي، له بداية ونهاية بين متخاطبين أو أكثر يدخلون في تفاعل بينهما.

ويعده (التهانوي) (1191هـ) " بحسب أصل اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام."[2]

ثم تطور مدلول الخطاب لتدل الكلمة" الكلام موجه نحو الغير للإفهام"،[3] فهو يميز في الخطاب بين فعل توجيه الكلام وبين الكلام ذاته؛ فدور الخطاب هو الإفهام بين لحظة إنتاج ذات الكلام وبين الكلام نفسه مع ضرورة وجود طرف آخر يحتاج إلى الفهم وإلا فلا يكون هناك خطاب.

ب- الخطاب في الاصطلاح.

ب/1- الخطاب في الثقافة العربية.

ورد لفظ الخطاب في الثقافة العربية، في عدة مواضع، إذ ورد في القرآن الكريم بصيغ متعددة، منها: ضيغة الفعل في قوله تعالى:* **وإذا خَطابُهُمُ الجَاهلُون قالُوا سلاماً"*** [4]وفي قوله عن داوود – عليه السلام- **"* وشَددنا مُلكَه وأتيناه الحِكمة وفَصْل الخطاب"*،**

(1) ابن منظور: لسان العرب ج5، ص: 97-98.
(2) التهانوي محمد علي ابن قاضي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح علي دحدوح، مكتبة لبنان تاشرون، ط1، لبنان، ج1، 1996م، ص:749.
(3) المرجع السابق: نفس الصفحة.
(4) سورة الفرقان: الآية:63.

[1]نستدل أن فصل الخطاب من صفات التي أعطاها الله تعالى لداوود –عليه السلام- معتبرا إياها من علامات الحصول قدرة الإدراك والشعور، وفصل الخطاب هوقدرة على التعبير عن كل ما يخطر في البال، ويحضر في الخيال، بحيث لا تختلط شيء بشيء، وينفصل كل مقام عن مقال، وتتضح الفروق التي تتفاوت بدورها من مرسل إلى مرسل آخر.

ووردت لفظة الخطاب عند النحاة اسم مفعول (المُخاطَب) لدلالة على طرف الخطاب الآخر، الذي يوجه المرسل كلامه إليه وذلك في حديثهم عن المظمرات. إذ يقول (ابن يعيش):" والمضمرات لا لبس فيها، فاستغنت عن الصَفات؛ لأن الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات. والأحوال المقترنة بها: حضور المتكلم والمخاطب والمشاهدة لهما في الحكم، فأعرف مضمرات المتكلَم، لأنه لا يوهمك غيره، ثم المخاطب والمخاطِب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة،" [2]وهذا التصنيف يوحي بأن مفهوم الخطاب بناحيته الشكلية وبدلالة الاهتمام بتصنيف الأداة اللغوية التي تشير إلى طرفه الآخر.

وإذا قلنا لفظ الخطاب فلا بد من ذكر تعريفه لدى الأصوليين، الذي كان محور بحثهم، فقد تردد كثيرا، فاشتقوا منه اسم الفاعل (مُخاطِب) واسم مفعول (مُخَاطب) بوصفهما طرفي الخطاب، فعرفه (الآمدي):" اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه"، ويقول(الجويني) في تعريفه للخطاب:"الكلام، والخطاب، والتكلَم، والتخاطب، والنطق، واحد في حقيقة اللغة، وما به يصير الحيَ متكلما".[3]

ب /2- الخطاب في الثقافة الغربية.

تجاذبت اتجاهات متعددة في الخلط بين مفهوم لخطاب كمصطلح نقدي، وبين مفهوم الكلام عند (دي سوسير)، وتعد الدلالة إلى علوم اللغة لذا يقول (جيرالد برنس) في كتابه"المصطلح السردي": "إن للخطاب معنيين منفصلين في إطار نظرية السرد الأول هو المستوى التعبيري للرواية لا مستوى مضمون أي عملية السرد لا موضوعه والثاني يتضمن التمييز بين الخطاب والقصة، و(بنفنيست) يستخدم الخطاب وفي كتابه بالفرنسية

(1) سورة النبأ: الآية 37.
(2) التهانوي محمد بن علي ابن القاضي: كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم،ص:35.
(3) المرجع نفسه: ص:36.

لأن الخطاب، كما يرى (ستابز) في كتابه" تحليل الخطاب" ، يوحي بعلاقة بين الحالة والحادثة وبين الموقف الذي يوحي فيه لغويا بهذه الحالة أو الحادثة"، [1]فالتعريف السابق يفرق بين الخبر و الإخبار وما بين الواقعة والإبلاغ، مما يماثل الفرق بين .

أما (فوكو) يعرف الخطاب على أنه: مجموعة كبيرة من الأقوال أو العبارات ويعني بها مساحات اللغوية تحكمها قواعد".و يعتره مصطلح لساني يتميز عن النص والكلام والكتابة وغيرها، بشمله كل إنتاج ذهني سواء كان نثرا أو شعرا منطوقا كان أو مكتوبا، ويضيف أنه" النصوص والأقوال كما تعطى في مجموعة كلماتها وبنائها وبنيتها المنطقية أو تنظيمها البنائي.

وللخطاب دعائم حسية من الملفوظ الذي يعتبر الحجر الأساسي عند اللسانين وكذا طرفا العملية التواصلية (المتحدث والمستمع)، ودعائم نفسية حيث نية التأثير عند المتلقي، وهذا ما جاء من تعريف (بنفنيست) للخطاب في قوله: هو كل تلفظ يفترض متحدثا ومستمعا لكون الطرف الأول فيه التأثير في الطرف الثاني وأبسط تعريف عند هو كل قول يفترض متكلما ومخاطبا ويتضمن رغبة الأول بالتأثر في الثاني بشكل من الأشكال".[2]

ووافق (هاريس)الذي عرف الخطاب بأنه ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة ؛أي إقامة شبكات معادلات بين الجمل، وهذا بواسطة المنهجية التوزيعية، فهذه المنهجية يهتم بعلاقة الجمل، فالجملة عنصر ملفوظ من الخطاب وهي وحدة تحليل النص. وبهذه الرؤية فهو يقارب (دي سوسير) في ما يعرف بمصطلحية الكلام، ليكون الخطاب عنده الملفوظ من جهة اشتغاله في التواصل وهو اللغة لحظة استعمالها، واللسان عندما يؤديه المتكلم.

(1) جيبر الدبرنس: المصطلح السردي (معجم المصطلحات)، تر حابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، 2003م، ص:42.
(2) سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي الغربي، ط4، بيروت، 2005م، ص25.

المبحث الثاني: من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص.

1/ الجملة (لغة واصطلاحا).

أ- في اللغة: جاء في لسان العرب لـ (ابن منظور) الجملة واحد الجمل،والجملة جماعة الشيء، يقال أجملت له الحساب والكلام إذ أرددت إلى الجملة". [1]

ب- الجملة في الاصطلاح.

ورد مفهوم الجملة عند النحاة العرب على اختلاف مذاهبهم، فقد استخدم (سبويه) المفهوم الدلالي في قوله:"هذا باب من الاستقامة من الكلام والإحالة"، [2]ويقول (الزمخشري):" إن الكلام مؤلف إما من اسمين أسند أحدهما إلى آخر، وإما من فعل واسم وسمي كلاما. فسبويه لم يميز بين مصطلحي الجملة والكلام فاستخدم مصطلح الجملة مرادف للفظ الكلام".[3]

وأول من استخدم الجملة مصطلحا هو (المبرد) 285هـ في قوله:" إنما كان الفاعل رفعا لأنه هو والفعل جملة لحسن السكوت عليها ويجب فيها الفائدة للمخاطب".[4]

وإذا بحثنا عن الجملة لدى اللغوين المحدثين ألفنا (إبراهيم أنيس) يعرفها في قوله:" الجملة في أقصر صورها هي أقل قدرمن الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه سواء تركب هذا القدر من كلمة أو أكثر"؛ [5]فهذا التعريف يجمع بين الشكل والمضمون وما يترتب عليه الكلام في كل لغة.

أما الجملة عند الغرب المتأخرين فنجد أن (دي سوسير) عدَها" النمط الرئيس من أنماط النظام الذي يتألف من وحدتين فأكثر من الوحدات اللغوية"، و(فنديس) رائد اللسانين اعتير الجملة أكبر وحدة لغوية ينظر إليها في قوله:" كالصورة اللفظية، إنما عنصر الكلامي

---

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص: 203.
(2) سبويه: الكتاب، تر عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1983م، ص:251.
(3) محمد حماسة عبد الطيف: بناء الجملة لعربية، ص21.
(4) المبرد: المقتضب، تر عبد الحسين عقيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط2، القاهرة 1979م، ص:8.
(5) إبراهيم أنيس: من أسرار الغة، القاهرة،1978م، ص277.

الأساسي فبالجمل نتكلم ونفكر"، [1]فالجملة هي بداية تحليل وهي تركيب لا يدخل ضمن تركيب آخر أكبر منه.

2/ مفهوم النصية.

النصية هي" طرق تستحضر لتكوين نحو نصي، واستمرارية خطايية، وتأخذ النصية شكل تمثيلية سيميائية للخطاب"؛ [2]فالنصية تقتصر على معالجة النصوص والإلمام بأحداثه العامة والخاصة، ودراسة الأشكال النصية التي تراعى فيها الجوانب الاتصالية، والتداولية ،والأسلوبية والدلالية، والنحوية، فبالرغم من المغالطات في تعريفات النص حافظت النصية على تفتحها، فالنصية أو النصانية من المفاهيم التي لاقت ترحيبا واسعا من قبل علماء النص ويعود الفضل في ذلك إلى(روبرت دي بونجراند)و(لفجانج دسلر) اللذان تطرقا ولأول مرة إلى هذا المصطلح ومدلوله في كتابهما (مقدمة في علم النص) الذي نشر سنة 1967م، وعرف المفهوم نضجا تاما في كتاب (دي بونجراند) في كتابه "النص والخطاب والإجراء" الذي تحدث فيه عن المعايير السبعة للنص وهي: السبك، الالتحام، القصد، القبول، رعاية الموقف، التناص، الإعلامية. فـ (دي بوجراند) جمع ولم جميع التعريفات السابقة في تعريفه للنص من خلال المعايير النصية السبع التي حددها وأكد على توفرها في النص والتي سوفا نتناولها في المطلب الموالي. فالنصية هي أهم مبحث في لسانيات النص، فهي خصت النص من حيث بنية مجردة تتولد بها جميع ما نسمعه، وذلك برصد العناصر القارة في النصوص مهما كان مقامها وتاريخها ومضامينها، ولكي تتحقق النصية يجب أن تتوفر في النص وسائل لغوية؛ فهي تساهم في لم وحدته، كما وضح كل من (رقية حسن وهالداي) المعايير التي تميز النص والتي يجب توفرها فيه، ويرى (هارتمن) أن النص هو الموضوع الرئيس في التحليل والوصف اللغوي، وأن تحليل النصوص عنده يقوم على عناصر داخلية وأخرى خارجية (خارج النص).

---

(1) فندويس: تعريب عبد الحميد دواخلي، محمد قصاص، مكتبة الأنجمو مصرية، مطبعة النخبة، لبنان، باريس1950م، ص:101.
(2) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، عرض وتقديم وترجمة محمد علولش: دار الكتاب اللبناني،ط1ن بيروت، شوشبرسي الدار البيضاء،1985م، ص: 214

3- مفهوم لسانيات النص.

لسانيات النص هي فرع من فروع اللسانيات تعنى بدراسة النصوص من حيث حدُه وتماسكه و محتواه الإبلاغي و التواصلي وما يرافقه من عناصر ووظائف لغوية داخل مقام تواصلي، ويصطلح عليها بلسانيات الخطاب أو علم النص، كلها تسمية ترى في النص موضوعها الأول والأساسي، فهي تهتم ببنية النصوص اللغوية وكيفية تحليلها، تحاول أن تعيد تأسيس الدراسة اللسانية على قاعدة أخرى هي النص، وقد نشأ هذا العلم كنهاية طبيعية لوجوب البحث عن أفق نظري يتجاوز الجملة، وفي أواخر الستينات ظهرت محاولتان لدراسة تراكيب ما فوق الجملة، ولعل أبزها التي قام بها (هاريس) سنة 1952م في كتابه "تحليل الخطاب"، وأخرى قام بها (ميتشل) سنة 1957م، إلا أنها كانت مخيبة للآمال، لأن العمل وفقا لتقاليد البولومفيدية أنتج طرقا شكلية لتحليل الحديث أو الكتابة. ولقد أشار بغض الباحثين إلى أن الأمريكيية (لايني) قد تكون أول من أنجزت عملا يمثل إرهاصا حقيقيا لعلم لغة النص في أطروحتها للدكتوراه سنة 1912م، [1]ومن أبرز الداعية إلى هذا العلم ونشأة جذوره النظرية الهولندي (فان ديك) سنة 1972م، الذي سعى في دراسته إلى إقامة تصور كامل حول "نحو النص" من خلال مؤلفه"بعض مظاهر أنحاء النص" ومؤلفه الآخر سنة 1977م بعنوان "النص والسياق". حيث بدأ ينطلق من تحليل "سيكو لساني" للخطاب توقفت القواعد واللسانيات التقليدية غالبا عند حدود وصف الجمل بمصطلحات المكونات والنص رابطا بين الدلالة والتداولية".[2]

ولذلك سوف يتم تصيف بعض نظريات النصية على أساس من التأثير السائد فيها، وسوف نشير إلى بعض النظريات في كل اتجاه:

أ ـ الاتجاه اللغوي النحوي.

ب ـ الاتجاه اللساني الوصفي.

ج ـ الاتجاه الدلالي.

---

[1] سعيد حسن بحيري: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ص:18.
[2] سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي (النص.السياق) الدار البيضاء،ط1، 1989م، ص:14.

د- الاتجاه التداولي.

وهناك اتجاهات أخريى في التحليل النصي كالاتجاه الإدراكي والسيميائي.

2/ من الجملة إلى النص.

مما لا شك فيه أن الدراسات البنيوية التي أرسى مبادئها (تشومسكي) من خلال النحو التقليدي؛التوليدي التحويلي، الذي اهتم فيه بالمركب الفعلي والاسمي بوصفه نواة الجملة، فالجملة عنده هي أكبر وحدة مستقلة.وفي بداية القرن العشرين لاقت محاضرات (دي سوسير) ونظرياته نجاحا، فهو أرسى قواعد وأسس منهجية لنظريته، فقد أصبح غنيا عن التعريف بالنسبة للمهتمين باللغة، فقد كانت أبحاثه في مجال اللسانيات أثر كبير في تقدم البحث اللغوي وفي تطور مناهج لغوية تعني ببنية النص ومعايير بنائه، من خلال تفريقه بين الكلام واللغة. فقد كان معظم الاهتمام علماء اللغة منصب على الجملة التي سطرت مبادئها البنيوية الوصفية في أمريكا، فقد نشر (زليخ هاريس) بحثا اكتسب أهمية في تاريخ السانيات اللحديثة بعنوان "تحليل الخطاب" الذي نشر أول مرة سنة 1952م، وبهذا يعد (هاريس) أول لساني يعتبر الخطاب (النص) موضوعا شرعيا للدرس اللساني، حيث قدم فيه منهجا جديدا في تحليل الخطاب واهتم بالعناصر اللغوية والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي والعلاقة التوزيعية بين الجمل.

ومنذ سنة 1952م أصبح الخطاب موضوع للتحليل اللساني، وبذلك تم تكسير قاعدة (بلومفيلد) الذي كان يعتبر الجملة أكبر وحدة للدراسة، وأنها الموضوع الوحيد للسانيات، على اعتبار أن الأشكال الأخرى التي تكبرها لا يمكن تحديدها،وفي منتصف الستينيات شهدت أوروبا ومناطق أخرى من العالم توجها قويا نحو تجاوز الجملة إلى وحدة أكبر منها وهي النص. وقد تناول كل من (براون و يول) في كتابهما "تحليل الخطاب" سنة 1983م سبل تحليل الخطاب وفق الاتجاه النصي واعتبارها موضوع للنص أكبر من الجملة.

النص والجملة يدخلان في إطار ثنائيات ضدية؛ فالجملة وحدة نظامية نظرية إطارها اللغة، فهي عبارة عن فكرة تامة يحسن السكوت عنها، أما النص فهو وحدة إجرائية استعمالية

إطارها الكلام، يتميز بصيغة المنطوقة أو المكتوبة التي صدرت من المتكلم أو المؤلف في موقف ما لدلالة، وهذه الصيغة قد تكون إشارة، أو لفظة، أو متتالية من الجمل المترابطة.

فتعددت مفاهيم لسانيات فقد عرفت باسم علم النص، أو لسانيات النص، أو لسانيات الخطاب، أو نحو النص.... وكلها تتفق حول ضرورة مجاوزة "الجملة" في التحليل البلاغي إلى فضاء أرحب وأوسع هو "فضاء النصي"، حيث تجاوزت اللسانيات النصية حدود البنية اللغوية الصغرى (الجملة) إلى بنية لغوية أكبر في التحليل هي النص؛ إذ عُد النص الصورة الكاملة و الأخيرة المتماسكة التي يتم عن طريقها التواصل بين أفراد المجموعة اللغوية، أما الجملة فنحوها تقليدي أقيم على مجموعة من الأسس العامة، فقد أشار (دي بوجراند)إلى اثنين منهما:

أ- استقلال النحو عن رعاية المواقف اللغوية.أي أن نحو الجملة يقوم بدراسة الجمل معزولة عن سياقها أو الجمل مصنوعة.

ب- إخضاع كل جمل مركبة لمجموعة ثابتة من التراكيب البسيطة؛ فنحو الجملة يؤمن باستقلالية الجملن وبالتالي فهو نحو تحليل لا تركيب. [1]

ويشير هذين المبدأين عقبة، فهما يمثلان أداة أمام نظرية الصياغة اللغوية والتوالي اللغوي، وقبل أن نقف بشيء من التفصيل أمام المعايير أو الصفات سوف نتوقف أمام علاقة المعايير بنحو النص حيث يتصل بعضها بالأسلوبية، وبعضها بالبلاغة العربية(المقامية والإعلامية)، وبعضها بمنتج النص أو متلقيه (القصد والقبول)، وبعضها له صلة وثيقة بنص (السبك والالتحام)، وأشار الدكتور تمام حسان إلى خمسة معايير فقط على أنها صفات تختص النص ولا تعنى بالجملة في شيء وهي القصد، التناص، رعاية الموقف، الإعلامية، القبول، وبهذا فعلم النص يتداخل مع مجموعة من العلوم الاخرى ويستوعب معارف ومعلومات كثيرة منها السياق المباشر وهو مجموعة السياقات النفسية والاجتماعية التي يتم فيها انتاج

[1] دي بونجراند : النص والخطاب والإجراء، ص: 103.

النصوص وفهمها. فالسياق له دور كبير في تفسير النصوص، بل في ايجاده كما يشير (لوينر).

ولابد من الإشارة إلى هذه المعايير التي حددها (دي بوجراند) ليستبين الأمر ويتضح الملامح أكثر، باعتبار النص حدث تواصلي يلزم كونه نصًا أن تتوفر له سبعة معايير التي حددها هذا الأخير وهي:

1- السبك: icohesion: وهو يترتب على اجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يودي السابق إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي بحيث يمكن استعادة هذا الترابط. ووسائل التضام تشتمل على هيئة نحوية للمركبات الجمل وتراكيبها وعلى التكرار والألفاظ الكنائية والأدوات والإحالة والحذف والروابط. ويهتم بين أجراء الجمل والعلاقات بينها في النص وفقراته، بل بين النصوص المكتوبة للكتاب،وينقسم السبك إلى قسمين: سبك معجمي؛ ويشمل التكرار والمصاحبة اللغوية (التظام)، وسبك نحوي ويشمل: الإحالة، الاستبدال، الحذف، الربط.

2- الالتحام:coherence: وهو يتطلب من الاجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لايجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام على: عناصر منطقية كالسببية والعموم والخصوص، معلومات عن التنظيم الأحداث والمواقف، السعي إلى تماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بالتفاعل المعلومات التي يعرضها النص.

3- القصد: intentionality: ويعني التعبير [1]عن هدف النص أو تضمن موقف منشئ النص واعتقاده أن مجموعة الصور و الأحداث اللغوية التي قصد بها أن يتمتع بها السبك والالتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة للوصول إلى غاية بعينها، [2]حتى يظل القصد قائما من ناحية عملية حتى مع عدم وجود المعايير الكاملة للسبك والالتحام، ومع عدم تأدية التخطيط إلى غاية المرجوة، وهذا التغاضي عامل ضبط النظام يتوسط بين مرتكزات اللغوية في جملتها والمطالب السائدة للموقف. ويرتكز دور القصد

(1) سعيد بحيري: علم لغة النص، ص:137.
(2) دي بونجراند: النص واالخطاب والإجراء، تر، تمام حسان،ص: 106.

على مقاربة تصور المعنى كما هو عند المرسل، مع مراعاة العناصر السياقية، وتكمن وظيفة اللغة في تحقيق تفاعل بين طرفي الخطاب بما يناسب السياق.

4- القبول: acceptability: وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون الصورة ما من صور اللغة ينبغي أن تكون لها مقبولية من حيث هي نص ذو سبك والتحام، وللقبول أيضا مدى من التغاضي في حالات تؤدي فيها موقف إلى الارتباك، حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج. فهو مرتبط بمجموعة الدلالات التي يطرحها النص.

5- التناص:intertextualiti: وهو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أو بغير وساطة. يقول "دريدا": النص لا يملك أبا واحدا، ولا خذرا واحدا بل هو نسق من الجذور.."[1].

6- الإعلامية:informativity: وهي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في حكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي (textuai) في مقابلة البدائل الممكنة، [2]ويتعلق ذلك بإمكانية توقع المعلومات الواردة في النص أو عدم توقعها على سبيل جدة، فورود بعض عناصر يساهم في ارتفاع الكفاءة الإعلامية.

7- رعاية الموقف: situationaliti: وتعرف بالمقامية (سياقية) :وهي تتضمن العوامل التي تجعل من النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه، [3]فهو تشير دائما إلى دور طرفي الاتصال على الأقل، فقد أولى المحدثون للسياق اهتماما كبيرا لتأثرهم بما جاء به "دي سوسير" ومنهجه الاجتماعي للغة الذي يقر فيه بأن اللغة نشاط اجتماعي نابعة من الاحتكاك في المجتمع وبالتالي لا يمكن فهمها إلا من خلال المجتمع، وعرف أيضا بسياق الحال عند (فيرث) وهو نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام، وسياق الحال يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعا كلاما وكتابة، غر أن (بلونفيد) السلوكي حد سياق الحال بظواهر تمكن تقريرها في إطار من الأحداث العلمية وهو عنده مادي، ولهذا نجده يتجاهل حقائق لها شأن بالكلام. ويتكون سياق الموقف من ثلاثة عناصر:

(1) أحمد عفيفي: نحو النص، ص:82.
(2) دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء: ص105.
(3) المرجع السابق: نفس الصفحة.

أ- شخصية المتكلم والسامع ومن يشهد الكلام ودور المشاهد في المراقبة والمشاركة.

ب- العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة بالحدث اللغوي.

ج- أثر الحدث اللغوي في المشتركين كالإقناع أو الفرح أو الألم أو الإغراء....

وينقسم السياق إلى:

أ- سياقات غير لغوية (مقامية): هي ظروف النص وملابساته الخارجية التي تشتمل على المقامية المتباينة والمختلفة التي ينجزها النص.

ب- سياقات لغوية (مقالية): متمثلة في النص ذاته بجميع مستوياته اللغوية وكينونتها النصية، إذ أن معنى الكلمة لا يتحدد إلا بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسة الكلامية.

ويمكن تصنيف هذه المعايير السبع التي كما يلي:

1- ما يتصل بالنص بذاته، وهما معيارا السبك والالتحام.

2- ما يتصل بمستعملي النص سواء أكان مستعمل منتجا أو متلقيا.

3- ما يتصل بالسياق الثقافي المحيط بالنص، وتلك المعايير الاعلامية، والمقامية، والتناص.

يدخل هذا التصنيف في حسابات النص وكل ما يتصل به من ظروف محيطة كالمنتج والمتلقي والسياق المقامي التواصلي والإعلامية والتناص. ويشير (تمام حسان) إلى خمسة معايير فقط على أنها صفات يختص بها النص ولا تعني الجملة في شيء وهي:

التناص، المقامية(رعاية الموقف)، الإعلامية، القصد، القبول.

المبحث الرابع: المقام وأفعال الكلام.

نشأت فكرة أفعال الكلام او (أفعال اللغة) من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة وهو " أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه".[1]

و ذلك بعدما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياسا وحيدا للحكم على دلالة جملة ما، مما حصر العبارات اللغوية في منوال واحد، هو العبارات الخبرية؛ كأن تصف واقعا ما.ويحكم على صدقها أو كذبها بمدى مطابقتها لذلك الواقع. فهي تعد أصنافا جزئية من السياق المقامي، فهي أفعال إرادية يقصد المرسل إنجازها، ويريد أن يدرك المرسل إليه هذا القصد،[2] حتى يحدث تفاعل بينهما، وتتحقق عملية التواصل.

ومن الذين تصدروا لهذه الفكرة (أوستين) من خلال محاضراته بجامعة (هار فارد) في سنة 1955م؛ حيث نبه أن دلالة الجملة في اللغة العادية ليست بالضرورة إخبارا وليست مقيدة دائما بأن تحيل على واقع فتحتمل الصدق أو الكذب، و أن القصد من الكلام هو تبادل المعلومات، مع القيام بأفعال تضبطها قواعد التواصل في الوقت ذاته مما ينتج عنه تغيير في وضع المتلقي وتأثير في مواقعه. فالسياق أو المقام أو سياق الحال يعد من أهم المعطيات التي لا يمكن التغافل عنها سواء في بناء الإنتاج اللغوي أو تأويله، فهو يشكل الفكرة المحورية التي تبلورت منها نظرية الأفعال اللغوية بمختلف تصوراتها، يقول (أوستن): "إن مقولة فعل الكلام كجنس كلي منظور إليها من موقف أو مقام كلامي هي فقط الظاهرة الوحيدة التي نسعى جهدنا لتوضيحها في نهاية الأمر،"[3] لذلك ميز (سيرل) بين ثلاثة مستويات في أي نشاط اجتماعي:

- مستوى اللسان بعدِه اتِفاقات اجتماعيًة تحملها العبارة دون التلفظ بها.(اللسان بمفهوم السوسيري).

---

(1) ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في درس العربي لبقديم)، بيت الحكمة لنشر والتوزيع، الجزائر، ط2012،2

(2) الشهري عبد الظافر: استراتجيات الخطاب، ص:43.

(3) سامية بن يامنة: سياق الحال في الفعل الكلامي، أطروحة دكتوراه، بإشراف أحمد عزوز، جامعة وهران،2001-2002، ص:101.

- مفهوم الحوافز الفردية (الكلام بالمفهوم السوسيري) التي تمنح للعبارات دلالة ما عند التلفظ بها.

- مستوى الاشتراطات الاجتماعية الواسعة، وهو مستوى معقد يشرح سبب اختيار هذه الدلالة دون غيرها.[1]

وخلاصة هذه المستويات أنه يجب عل المشاركين في الخطاب ان يدركوا العلاقة بين شكل الجملة ووظيفتها. وان هذه الأفعال اللغوية تكتسبها اضافات اجتماعية لها قواعدها ومعاييرها. ولا يمكن فهمها خارج هذه الشروط .

وإن بنية الغة لا تختلف عن بنية الفكر، ووظيفتها تتجاوز كونها وسيلة تواصل الى وسيلة تأثير في العالم والسلوك. ويصير الكلام ذات قوة بلاغية كامنة فيه، تظهر حال النطق به، وقوة اخرى تأثيرية فعلية، على مستوى المتلقي تظهر من خلال الاثار والنتائج المترتبة. حيث سوف نتطرق إلى هذه فكرة افعال اللغوية أو أفعال الكلام عند كل من(أوستين)، (سورل) وما بعدهما:

أ ــ فكرة افعال الكلام عند (أوستين):

اقترح (أوستين) قسما ثانيا من العبارات الى جانب (العبارات) الوصفية هو العبارات الإنجازية التي لا يحكمها مقياس الصدق والكذب، ويتزامن النطق بها مع تحقق مدلولها. ولتلك العبارات شروطا أوضحها الدارسون، ولا تتحقق إنجازيتها إلا بها وهي:[2]

- أن يكون الفعل فيها منتميا الى مجموعة الأفعال الإنجازية: (وعد - سأل - قال - حذر- أوعد.....).

- أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلِم؛ أي انها تمثل الفردية ممن يقولها.

- أن يكون زمن دلالتها مضارع.

---

(1) خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، بيت الحكمة لنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012،ص:72.

(2) ينظر:أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، منشورات عكاظ، رباط، المغرب، 1989م، ص:19.

شروط – كما نرى- تجمع بين المستويين النحوي والمعجمي، وغياب شرط واحد كفيل بتحويلها الى عبارة وهي الوصفية. و يتميز الفعل الإنجازي عن الوصفي بكونه عاكسا للاثار التي ينجزها كلامنا، وهو فعل دقيق للغاية.

ووفق تلك الشروط المذكورة اعلاه يمكن تقدير الفعل في العبارات الوصفية نحو قولنا: الجو جميل.

هنا صارت الجملة إنجازية، وعليه فكل العبارات الملفوظة إنجازية على نوعين:

- إنجازية (صريحة/ مباشرة)، فعلها ظاهر (أمر، حض، دعاء، نهي) بصيغة الزمن الحاضر المنسوب الى المتكلم.[1]

- انجازية (ضمنية/ غير مباشرة) فعلها غير ظاهر، نحو: الاجتهاد مفيد أقول الاجتهاد مفيد آمرك ان تجتهد. و نحو قوله تعالى*: وما حياةُ الدُّنْيا إلَّا متَاعُ الغُرورِ". وعنها الحذر (احذروا).

وميز (أوستين) بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلامية:

فعل قولي: يقابل التلفظ بالأصوات (فعل صوتي) ، والتلفظ بالتراكيب (فعل تركيبي)، واستعمال التراكيب حسب دلالاتها (فعل دلالي).

فعل إنجازي (القول الفاعل): يحصل بالتعبير عن قصد المتكلم من أدائه(يعد – يخبر – يعجب – ينذر -) ويشمل الجانب التبليغي والجانب التطبيقي.

فعل تأثيري (استلزامي): يحصل حين يغير الفعل الإنجازي من حال المتلقي بالتاثير عليه، كأن (يرعبه – يجعله ينفعل ...) ويتميز كل فعل من هذه الافعال بتوفره على قوة انجازية وهي" تفترض تزامنا تاما بين موضوع الملفوظية، والمتلفظ.

(1) خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص:78.

واستنادا على مفهوم القوة الإنجازية ميز(أوستين) بين خمسة أنواع للأفعال الكلامية وهي:[1]

* الأفعال الحكمية (الإقرارية): حكم، وعد، وصف.

* الأفعال التمرسية: إصدار قرار لصالح أو ضد.....، أمر، قاد، طلب.

* أفعال التكليف (الوعدية): تلزم المتكلم: وعد، تمنى، التزم بعقد، أقسم..

* الأفعال العرضية (التعبيرية): عرض مفاهيم منفصلة، (أكد، أنكر، أجاب، وهب...).

* أفعال السلوكات (الإخباريات): ردود أفعال تعبيرات اتجاه السلوك: اعتذر، هنأ، حيي، رحب... وتتضح أشكال الفعل الإنجازي خصوصا في الترسيمة التالية:

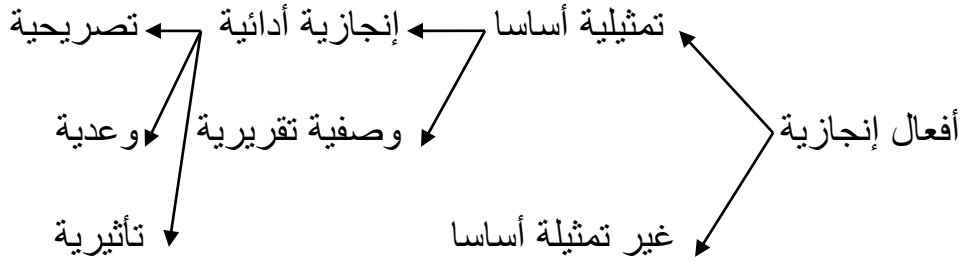

الشكل -1-

ب – أفعال الكلام عند (سورل):

هو أول من أوضح فكرة (أوستين) السَّابقة، وشرحها أكثر بتقديمه شروط إنجاز كل فعل، إلى جانب بيانه شروط تحول الفعل من حال الى حال أخرى واليات ذلك، وتوضيح خطوات استنتاج الفعل المقصود.[2]

[1] ينظر: فرانسواز أرمينكو، تر: سعيد علوش، مركز الانماء القومي، الرباك، المغرب، 1986م، ص: 62.
[2] ينظر: فرانسواز أرمينكو: مقاربة تداولية،ص:66-68.

مثال: قولنا: من في المكتب:" تركت الباب مفتوحا" لمن يدخل عليه، يخضع الى جملة الخطوات لإدراك الفعل المقصود إنجازه منها:

- أن الضجيج في الرواق، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا ⟵ فهو يأمرني بإغلاقه.

- المكتب مكيف، ولا ينبغي ترك الباب مفتوحا ⟵ فهو يطلب بشكل ما اغلاقه.

- من الأدب أن تغلق الباب كما وجدته مغلقا حال دخولك ⟵ فهو يعاتبني على سوء سلوكي

وما قدمه (سورل) أيضا انه أعاد تقسيم الأفعال الكلامية، وميز بين أربعة أقسام:

- فعل التلفُّظ (الصوتي والتركيبي).

- الفعل القضوي (الاحالي والجملي).

- الفعل الإنجازي (على نحو ما فعل أوستين).

وسرعان ما أعاد اقتراح خمسة أصناف لها:

1 – الأخبار (تبلغ خبرا، وهي تمثيل للواقع)، وتسمى أيضا التأكيدات، الأفعال الحكمية. والهدف منها تعهد المرسل ـ بدرجات متنوعة ـ بأن شيئا ما هو واقعة حقيقية، وتعهده كذلك بصدق قضية ما.

2 – الأوامر (تحمل المخاطب على فعل معين).وتسمى أي أيضا التوجيهية، وهدفها جعل المرسل إليه يفعل شيئا ما، ويحاول المرسل تحقيق هذا الهدف بدرجات مختلفة تتراوح بين اللين وذلك بين الإغراء أو الاقتراح أو النصح، وبين العنف والشدة، وذللك بالإصرار على فعل الشيء.

3- الإلتزامية (أفعال التعهد)، وهي أفعال التكليف عند أوستين، حين يلتزم المتكلم بفعل معين. وهدفها التزام المرسل، بدرجات متنوعة، بأفعال في المستقبل، وهي مبنية على شرط الاخلاص.

4- التصريحات: وهي الأفعال الترّمسية عند أوستين، وتعبر عن حالة مع شرط صدقها. وهدفها جعل العالم يطابق الخطاب والخطاب يطابق العالم.

5- الإنجازايات (الإدلاءات) تكون حين التلفظ ذاته.. وهدفها التعبير عن حالة نفسية محددة بشرط عقد النية والصدق في محتوى الخطاب عن تلك الامور المحددة.[1]

كما أنه وضع اثني عشر مقياسا لنجاح الفعل الإنجازي، منها: غاية الفعل، توجيهه، حالته سيكولوجية..... وسماها شروط النجاح. وهي تستند كثيرا الى قوانين المحادثة لـ(جرايس)، ووسع مفهوم الفعل الإنجازي ليتجاوز ارتباطه بالمتكلم الى العرف الاجتماعي اللغوي، وجعل للقوة الانجازية أدلة عليها: (تقديم، تأخير، نبر، تنغيم، علامات الترقيم.....).

ج – أفعال الكلام بعد (أوستين) و(سورل):

تناول فكرة أفعال الكلام لسانيون عدة بعد (أوستين) و (سورل)، وعرضوا الكثير من قضاياه، لا سيما مفهوم الفعل الإنجازي وشروط قيامه، ومفهوم القوة الانجازية ووسائل ظهورها في البنية أو اخفاقها ومن أولئك:

- **أوزوالد ديكرو:** ذكر شروط الإنجازية، بقوله: " تكون الجملة ما انجازية اذا أمكن بعض من ملفوظاتها أن يكون كذلك، ويكون فعل ما إنجازية اذا أمكنه صياغة الفعل المحوري للجملة الإنجازية."[2] وفي كتابه (القول واللاقول) حدد نوعا من الأفعال سماه أفعال الرأي، وهي:" ما يتعلق بالمتكلم، ويعلم به السامع اليقينيات، مثل: فكر، علم، أعتق، تخيل، شك، ..." وهي مجموعة أفعال شك والرجحان واليقين في العربية، ولكنه يجعل استعمالها مشروط بأمرين:

(1) خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص:80-81.
(2) المرجع السابق: ص:81 .

الأول أن يستند الى ضمير المتكلم في المضارع، والثاني يرتبط بمسائل خاصة تتعلق بافتراض حقيقتها وعدمه.

ثم ميز أفعال الرأي هذه، عن قسم آخر من الأفعال يسمى أفعال الحجاج التي تخلف عنها، في انها لا تمثل رأيا لشخص، ولكن تعني الافتراضات المسبقة للرأي، نحو: برهن، بين، فنّد.

- **ديترو و ريكاناتي**: هما من الذين انتقدوا (أوستين) في بعض أقسام الفعل. إلى جانب (بنفنيست) و(سورل) وغيرهما. واقترحا أربعة أقسام فقط:

- أفعال إنجازيّة.

- أفعال إدراكيّة.

- أفعال قوّة الإنجاز.

- أفعال قوّة الإدراك.[1]

[1] ينظر: فرانسوار أرمينيكو: المقاربة التداولية، ص:69-70.

هدف الخطاب في الأفعال اللغوية:

ينجز المرسل أفعاله بالخطاب، وهذا مرد تركيز بعض الباحثين على دراستها، انطلاقا من أن العلامة ليست بؤرة العملية الاتصالية لوحدها، بل تكمن بؤرة العملية الاتصالية، على الأصح، في استعمالها لإنجاز الفعل اللغوي. فقد أسَّس (أوستين) نظرية الأفعال اللغوية في البحث المعاصر، ثم تناولها عدد من الباحثين من بعده، فبحث كل منهم في زاوية معينة، ليضيف شيئا أو ينقِّحه. وقد كان تجسيد الأفعال الغوية لهدف الخطاب من محاور التي حضيت بعنايتهم، حيث يتضح ذلك جليا عند تتبع تقسيماتهم لأفعال، مع تفاوت في المعايير المؤثرة فيها، سواء أكانت الأهداف نفعية التي تقع خارج الخطاب أم أهداف التي تقع داخله، فلقد وجد العالم (أوستين) اشكالا في تقسيم الأفعال في نظرية الأفعال اللغوية، رغم أنه يصنفها بدءا إلى ثلاثة أصناف هي: فعل الكلام، فعل قوى الكلام (الإنجازي أو غرضي)، لازم فعل الكلام (التأثيري).

ويحاول أن يميز كلا منها؛ بغض النظر عن ماهية التصنيف أو التداخل بين هذه الأصناف، فالصنف الأول هو التلفظ بخطاب ذي مفردات طبقا لتركيب مقبول، أي كما تقتضي الدلالة، وبهذا فهو أساس الأصناف الأخرى، فلا إنجاز بدون تلفظ، وهو في ذات الأمر أيضا إنجاز قوى فعل الكلام.

المبحث الخامس: المقام والحجاج التداولي.

الحجاج هو مجال غني من المجالات التداولية يشترك مع العديد من العلوم الاخرى كعلم التداولية، لكنه انبثق من حقل المنطق والبلاغة الفلسفية، [1]وهو بحث من اجل ترجيح خيار بين خيارات قائمة وممكنة، بهدف دفع فاعلين معيين في مقام خاص الى القيام بأعمال ازاء الوضع الذي كان قائما ، فهو - كما يبدو- يقوم في مفهومه على صناعة الجدل والخطاب

مباحث الحجاج حديثا في الأعمال التالية:

[1] ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، ص:85.

أ - الحجاج عند (بيرلمان) و(تتيكا): لقد اسهمت بحوثهما في كشف جوانب عميقة من البلاغة لاسيما من خلال كتاب (شايم برمان) في سنة 1958م، بعنوان (البلاغة الجديدة)، وكتاب اخر ألفه بالاشتراك مع (تتيكا) بعنوان (دراسة الحجاج) الذي درسا فيه التقنيات التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان ألى التسليم بالموضوعات المعروضة عليها، وأن تزيد في درجة ذلك التسليم.

والحجاج في نظرهما يتجاوز النظر فيما هو حقيقي مثبت محدد، إلى تناول حقائق متعددة ومتدرجة، فهو في نظرهما يعني الاختلاف، وشرطه أن يقوم على موضوعية الحوار؛ حيث يقف فيه الآخر المحاجِج موقف الشريك المتعاون، لا موقف الخصم العنيد، من أجل تحقيق غاية وهي: استمالة المتلقي لما يعرض عليه، وأن يزيد في درجة إذعانها باعتماد وسائل التأثير في عواطفه وخيالاته وإقناع. وذكر ايضا على أنه على ضربين:[1]

الأول: تمثله البلاغة البرهانية؛ حيث يقوم على البرهنة والاستدلال ويتتبع الجانب الاستدلالي في المحاجة، يعتمد على العقل وهو خاص بالفيلسوف، وجمهوره ضيق، وغايته بيان الحق.

الثاني: حجاج أوسع من السابق، يهتم بدراسة التقنيات البيانية التي تسمح بإذعان المتلقي، وغرضه دغدغة العواطف والإثارة والأهواء، استنفارا للسامعين.

ويعتمد مبحث الحجاج حديثا على ما ذكر من أعمالهما، وعلى أعمال الآخرين، نحو: (توليمن) و (ديكرو) و (أنسكومبر)....

ب - الحجاج عند (س- إ- تولمين):

اتضح مفهومه للحجاج من خلال بحثه المقدم في سنة (1958م) بعنوان(the uses of argument) الذي يهدف الى دراسة الادوات الحجاجية في الاستخدام العادي للغة،

(1) خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية، 86.

وعرض ذلك بعدة رسومات بيانية على ثلاثة مراحل، ترجمها (عبد الله صولة) – مع بعض التصرف- على النحو التالي:[2]

- الأول: يمثل حجاجا ذا ثلاثة أركان أساسية هي: المعطى أو المصرح ب

ه،(م)، والنتيجة (ن) والضمان – يكون ضمنيا- (ض).

- الثاني: يمثل حجاجا أدق من السابق باضافة الموجه (ج)، ولاستثناء (س) الذي يحمل عناصر رفض القضية.

ج - الحجاج عند (ديكرو) و (أنسكومبر):

عرضا مفهوم الحجاج والياته من خلال كتابهما (l argumenentation dans la langue) في سنة 1983م، وهو يختلف عن المفهومات السابقة، لأنه حجاج لساني (لغوي) بحث، وقد حصراه في اللغة و دراستها، دون الاهتمام بما هو خارجها، ف "يكون بتقديم المتكلم قولا (ق1) يقضي الى التسليم بقول آخر (ق2) (...) فهو إنجاز لعملتين، هما عمل صريح بالحجة من ناحية، وعمل بالاستنتاج من ناحية اخرى، سواء أكانت النتيجة مصرحا بها أم مفهومة من (ق1)".[1]

وقدم (ديكرو) الى جانب ذلك تحليلا سماه (ألية المعنى)، بين من خلاله أن الجملة في اللغة تدرس بالمكون اللغوي (الليساني) الذي يخصها بالدلالة، ثم تعالج هذه الدلالة بالمكون البلاغي الذي يخصها بمعنى، هو معنى الملفوظ.

ويقوم المكون البلاغي بدورين الأول يعطي مخرجا أوليا تمهيديا للمعنى، والثاني أن يقابل هذا المعنى الأولي بجديد السياق الملفوظي، مما يفرض معرفة قوانين الخطاب.

---

[2] المرجع السايق: ص:87.
[1] المرجع السابق: ص:89.

الخاتـــــــــمة

خاتمة:

في نهاية المطاف وبعد استجلاء حيثيات الموضوع ومقاربة الإشكالات السابقة الطرح، ورصد ظاهرة المقام يمكن استخلاص المضامين العامة للبحث ورصد بنوده العريضة في الآتي:

- حاولت تتبع اهتمام علماء العربية بظاهرة الكلام من ملابسات، كالسامع والمقام وظروف االمقال وكل ما يقوم بين هذه العناصر غير اللغوية، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال التي تعتبر ظهور الكلام وفق الصورة التي يقتضيها المقام(الحال)، والتي يقال فيها؛ أي تطبيق المتكلم في كلامه لما يفترض عليه حال المخاطبة من مقتضى.

- شاع مصطلح المقام عند العرب قديما، فهم استعملوه في الدراسات البلاغية، وأكدوا على أهيمته البالغة والمرمومة، في حين استعمل كثير من المحدثين خصوصا الغربين مصطلح السياق.

- يتطلب دراسة جملة أو نص (خطاب) يتطلب تحليل المواقف (مقام) الذي ترد فيه.

- ينحصر مفهوم السياق في ثلاثة ألفاظ: سياق الغرض، الظروف والأحداث بما فيها المواقف، فيما يعرف بالسياق اللغوي.

- للمقام منزلة مرموقة، حيث لا تكاد الدراسات القديمة والحديثة تخلوا منه تعبيرا ونصا،

فهو أضحى شعارا وأساس الدراسة البلاغية واللسانيات الحديثة.

- هذا وسيرا نحو تقصى في عمق البلاغة العربية القديمة وتتبعا لظاهرة المعطى المقامي، التي كانت حاضرة في مؤلفات ونصوص البلاغيين وعلى رأسهم (الحاجظ) و(قدامة بن جعفر) و(عبدالقاهر الجرجاني) من خلال مؤلفين "دلائل الإعجاز" و" أسرار البلاغة"، والأهم نظرية النظم التي مثلت مطابقة الكلام لمقتضى الحال والسياق الذي فيه الكلام، هذا ويعتبر المقام (السياق) من أصول التذوق البلاغي، وكل هذه التنظيرات والطروحات من

(الجاحظ) إلى (السكاكي) تناولت الحدث الكلامي ومنتج الخطاب ومتلقيه وسياق إنتاجه بمختلف أشكاله وصوره.

كما أشار البحث إلى الممارسات النصية لعلماء العربية القدامى وسبقهم في الدراسة، وذلك في إسهاماتهم المباشرة وغير المباشرة، حيث يمكن اعتبار لسانيات الخطاب(النص) أحد فروع علم اللغة ويعد مرحلة انتقالية من محورية الجملة في الدراسة إلى اعتبار النص الوحدة المركزية؛ لأنه لا يمكن فهم المعنى دون السياق الذي وضع فيه.

هناك اختلافات كبيرة في تحديد مفهوم النص، حيث اكتسى دلالات مختلفة نتيجة تعدد الاتجاهات والنظريات والمدارس اللسانية، مما أدى بالباحثين إلى تباين في إمكانية وضع مفهوم للنص يجتمعون عليه، هذا ويمكن اعتباره "وحدة أو تشكيل نظمي" قابل لتحليل وكشف تماسكه.

النص هو الميزان الذي تتبلور فيه المعايير النصية، فهي تخلق تلاحمه وتماسكه وتضمن له نصيته، فالنص يقوم على عناصر لغوية وغير لغوية تشمل السياق والعلاقات القائمة بين البنى السطحية والعميقة.

نشأت أفعال اللغة أو أفعال الكلام من مبدأ الفلسفة الغوية الحديثة ومجال نشأتها تداولي، ومن رواد هذه النظرية (أوستن) من خلال محضراته بجامعة (هارفارد) سنة 1955م.

وإسهامات(بيرمان) و (تيكا) في كشف جوانب عميقة من البلاغة، بوصفها تأملا في اللغة والفكر من خلال مؤلفهما (دراسة الحجاج)الذي درسا فيه التقنيات تسليم الموضوعات المعروضة في الاذهان.

المصادر العربية:

* القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1- أبو هلال العسكري: الصناعتين (كتابة وشعر)، تح:مفيد قبيحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1939م.

2- أبي محمد القاسم الأنصاري الإسلامي: المشروع البديع في تجنيس أساليب البديع، شرح: علال الغازي، مكتبة عارف،ط1، 1981م.

3- ابن جني (أبو تفاح عثمان): الخصائص، تحقيق: عبد الحكيم ابن محمد، المكتبة التوقيفية، سيدنا الحسين.

4- ابن منظور: لسان العرب، دار الصادر، بيروت،لبنان 2004م.

5- الجاحظ (أبو عمر): البيان والتبيين، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط3، 2001م.

6- الجاحظ: الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مطبعة باجي الحلبي، مصر، ط2، 1992م.

7- الرماني أبو الحسن ابن عيسى: النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاثة وسائل في إعجاز، تحقيق: محمد خلف الله- محمد زغلول سلام، دار المعرفة، ط3، (د ت).

8- الزمخشري: أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م.

9- السكاكي (أبو يعقوب يونس): مفتاح العلوم، مكتبة مصطفى باجي وأولاده، مصر، ط2، 1990م.

10- الفيروز الأبادي: القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م.

11- القزوني: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة مصطفى باجي وأولاده، 1990م.

12- المبرد: المقتضب: تر: حسين عقيمة، مكتبة إحياء التراث الإسلامي، ط2، قاهرة 1979م.

13- بطرس البستاني: محيط المحيط، قاموس مطول، مكتبة بيروت، ياشرون، بيروت، (د ط)، 1998م.

14- سبويه: الكتاب،تح: عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1983م.

15- عبد القاهر الحرجاني: دلائل الإعجاز، شرح وتعليق: محمد النشبجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 2005م.

16- قدامة بن جعفر:

- نقد الشعر: دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).

- نقد النثر: تحقيق عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د ت).

17- مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م.

المصادر المترجمة:

18- جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توفيال لنشر، المغرب، ط1، 1991م.

19- جون أوستن: نظرية الكلام العامة، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 1991م.

20- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986م.

21- معجم المصطلحات الأدبية: عرض وتقديم وترجمة: سعيد علوش، دار الكتب اللبناني، بيروت، شوسبسرسي دار بيضاء، ط1، 1985م.

22- مشيل فوكو: حفريات المعرفة، تر: سالم يفوق، مركز الثقافي االعربي، دار بيضاء، 1987م.

المراجع العربية:

23- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، (دت).

24- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية (مدخل نظري)، منشورات عكاظ الرباط، المغرب، 1989م.

25- أحمد عفيفي: نجو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، مصر، ط1، 2001م.

26- أحمد مصطفى المراغي: علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

27- إبراهيم أنيس: من أسرار الغة العربية، القاهرة، 1979م.

28- إسماعيل إبراهيم: فن المقال الصحفي (الأسس ونظرية وتطبيقات علمية)، دار الفجر لنشر والتوزيع.

29- الشهري عبد الهادي ظافر: استراتجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، دار الكتاب الجديد،ط1، 2004م.

30- بثينة أيوب: أحمد محمود المصري: قضايا بلاغية، دار الوفاء لدنيا لنشر والطباعة، ط1، 2005م.

31- بدوي بطانة: البيان العربي، دار المنارة جدة، دار الرافعي رياض، ط3، 1988م.

32- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001م.

33- حسن السعيد بحيري: علم لغة النص (مفاهيم واتجاهات)، شركة المصرية العالمية لنشر لونجمان، ط ، 1997م.

34- حلمي مرزوق: في فلسفة البلاغة العربية-علم معاني- دار الوفاء لنشر والطباعة، ط1، 2004م.

35- حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب- أسسه وطوره إلى القرن16، مشروع قراءة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تونس، ط1، (دت).

36- خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، بيت الحكمة لنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 2012م.

37- خير الدين برنس: المصطلح السردي (معجم المصطلحات) تر: حابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة،2003م.

38- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي: المركز الثقافي العربي، بيروت، ط4، 2005م.

39- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي (السياق والنص)، دار البيضاء، ط1، 1989م.

40- عبد الواسع الحميري: ما الخطاب؟ وكيف نحلله، موسوعة جامعية لدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2009م.

41- عبد الواسع،

42- علي عاشر زايد: البلاغة العربية (تاريخها مصادرها مناهجها)، نقلا عمر الزمخشري، كاشف خصائص غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة التجارية، مصر، 1945م.

43- عبد القادر حسن: فن البلاغة، عالم الكتب، ط4، 1984م.

44- عبد السلام المسدي: قضية بنيوية دراسة ونماذج، دار الجنوب لنشر، 1945م.

45- عبد الله الغذامي: الخطيئة والتفكير، النادي الأدبي الثقافي، جدة السعودية، ط1، 1985م.

46- قندوس: اللغة، تعريف: عبد الحميد دواخلي محمد قصاص، المكتبة الأنجو مصرية، مطبعة النخبة، لبنان، باريس،1952م.

47- محمد عبد المنعم خفاجي: عبد العزيز شرف: البلاغة العربية بين التقليد والتجريد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.

48- محمد بدوي عبد الجليل: تصور المقام في البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، 2005م.

49- محمد عبد المطلب: البلاغة العربية (قراءة أخرى)، مكتبة لبنان، ط1، 1991م.

50- محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، دراسة حول المعنى وإخلال المعنى منشورات جامعية ليبيا.

51- محمد الأخضر صبحي: مدخل إلى علم النص (مجالاته وتطبيقاته)، دار العربية للعلوم، بيروت،بيروت، ط1، 2008م.

الدوريات:

1- أحمد واضح: الخطاب التداولي في الموروث البلاغي من قرن الثالث هجري إلى قرن السابع الهجري، أطروحة دكتوراه بإشراف: لزعر مختار، جامعة وهران، 2011-2012م.

2- سامية بن يامنة: سياق الحال الفعل الكلامي، أطروحة دكتوراه بإشراف: أحمد عزوز، جامعة وهران، 2001-2002م.

- شكر وعرفان.

- إهداء.

- خطة البحث.

مقدمة ..... إ-ج

الفصل الأول: حظ المقام في البلاغة العربية.

1/ المقام في البلاغة العربية 10

1-1مفهوم المقام والمقال (لغة)..... 11

1-2 مفهوم المقام والمقال (اصطلاحا).....13

1- 3مطابقة الكلام لمقتضى الحال 15

2/ عناصر المقام 18

2- 1مقام المتكلمين.....18

2- 2هيئة المتكلمين .....,.....19

2-3 المخاطب 20

2- 4المتكلم والمخاطب وظروف المقال الغير لغوية.....21

3/ أنواع المقام.....23

3-1 المقام موضع لإقامة المقيمة.....23

3-2المقام موضع لإقامة والمقاومة في آن واحد..... 23

3-2المقام موضع للقوامة والقيومية.....24

4/ منزلة المقام في العلوم الأخرى.....25

4-1 المقام في الوعي البلاغي (البياني).....25

4-2 المقام في الوعي التداولي للخطاب.....26

4-3 المقام في والحال.....27

4-4 المقام في الوعي العرفاني.....28

4-5 المقام والسياق.....28

4-5-1 السياق في اللغة.....29

4-5-2 السياق في الاصطلاح.....29

4-5-3 أنواع السياق..... 31

الفصل الثاني: تمظرات المعطى المقامي في البلاغة العربية.

1/ مفهوم البلاغة 34

1-1 البلاغة في اللغة.....35

1-2 البلاغة في الإصطلاح.....36

1-3 العلاقة بين البلاغة ولسانيات الخطاب.....38

2/ الأبعاد المقامية في البلاغة العربية (الحاجظ255هـ).....39

3/ الأبعاد المقامية عند المتكلمين.....44

3-1 الأبعاد المقامية عند ابن جعفر(371هـ).....45

2-3 الأبعاد المقامية عند الرماني (384هـ).....47

4/ الأبعاد المقامية عبد الجرجاني (417هـ).....48

5/ الأبعاد المقامية عند السكاكي (676هـ).....52

الفصل الثالث: تمظرات المعطى السياقي في لسانيات الخطاب.

1/ ماهية النص والخطاب.....58

1-1 مفهوم النص (لغة واصطلاحا).....61

2-1 مفهوم الخطاب (لغة واصطلاحا).....61

2/ من لسانيات النص إلى الجملة.....64

1-2 مفهوم الجملة (لغة واصطلاحا).....64

2- 2 مفهوم النصية..... 66

3-2 مفهوم لسانيات النصية 68

3/ من الجملة إلى النص.....68

1-3 المعايير النصية عند دي بونجراند.....70

4/ المقام وأفعال الكلام.....72

1-4 نشأة أفعال الكلام 72

2-4 أفعال الكلام عند أوستن.....74

3-4 أفعال الكلام عند سورل.....76

4-4 أفعال الكلام ما بعد أوستن وسورل.....78

5-4 هدف الخطاب في الأفعال اللغوية.....79

5/ السياق والحجاج التداولي.....80

5-1 الحجاج عند بيرمان وتيتكا.....80

5-2 الحجاج عند تولمين.....81

5-3 الحجاج عند ديكرو واسوكير..... 79

خاتمة.....83

قائمة المصادر والمراجع.....85

فهرس الموضوعات..... 91-94